

روايات مصرية لأحدث

رجل المستحيل

الإعصار الأحمر

104



نبيه فاروق

www.dvd4arab.com

المؤسسة العربية لتوزيع

رجل المستحيل

(أدهم صبرى) .. ضابط مخابرات مصرى ، يرمز إليه بالرمز (ن-١) .. حرف (النون) ، يعنى أنه فئة نادرة ، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه ؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص .. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة ، من المسدس إلى قاذفة القنابل .. وكل فنون القتال ، من المصارعة وحتى التايكوندو .. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لسبب لغات حية ، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج) ، وقيادة السيارات والطائرات ، وحتى الفواصات ، إلى جانب مهارات أخرى متعددة . لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ - عبر الهاتف ..

أشرق صباح جديد ، على العاصمة الروسية (موسكو) ، وتسالت أشعة الشمس الدافئة ، عبر فجوة صغيرة ، وسط السحب الكثيفة الداكنة ، التى تحجب السماء ، فى تلك الفترة من العام ، فتألفت بقعة من الثلوج بذلك الضوء الذهبى ، الذى لم يلبث أن اتحسر مبرعاً ، مع اندماج السحب عند الفجوة ، فى نفس اللحظة التى عبرت فيها سيارة صغيرة المكان ، وتجاوزت الشارع الرئيسى الكبير ، لتتحرف إلى شارع جانبي صغير ، وتتوقف أمام مبنى قديم ، من مباني ما قبل الحرب ، ليهبط منها رجل قصير القامة ، أصلع الرأس ، ممتلئ الجسد إلى حد ما ، يخفى عينيه بمنظار شمسي داكن ، فى محاولة لإخفاء شخصيته ، ولم يكذ يغلق باب السيارة خلفه ، حتى وضع على رأسه غطاء من الفراء السميك ، ورفع يافتي معطفه ، ليخفى الجزء الأكبر من وجهه ، قبل أن يطرق باب المبنى الصغير ثلاث طرقات متتالية ، ثم ينتظر لحظة ، انفتح بعدها الباب ، وغمغم رجل ممشوق القامة :
- تفضل يا سيدى .. الجميع فى انتظارك .

عبر الرجل الباب في سرعة ، فأغلقه ممشوق القوام
خلفه في إحكام ، ثم قاده عبر ممر طويل خافت الإضاءة ،
إلى قاعة صغيرة ، اجتمع فيها خمسة من الرجال ، الذين
احتلوا يومًا أرفع المناصب ، في الحزب الشيوعي
السوفيتي ، قبل الانهيار المعروف (*) ، ولقد نهضوا
جميعًا لاستقبال القادم الجديد ، الذي حيّاهم بيده في شيء
من الترفع ، قبل أن يحتل مكانه على رأس مائدة
الاجتماعات ، قائلاً :

- أرى أنكم قد حضرتم جميعًا هذه المرة .

أجابه أحدهم متوترًا :

لم يكن هناك مفر من هذا يا (زورين) ، لقد أبلغتنا
جميعًا أن هذا الاجتماع بالغ الأهمية والخطورة ، و ...

قاطعته (زورين) في غضب صارم :

- لا أسماء يا رجال .. قلت ألف مرة : لا أسماء .

شحب وجه الرجل ، وتراجع في مقعده ، متمنًا :

- معذرة .. لم أكن أقصد هذا .. لم أكن أقصده أبدًا .

(*) مع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات ، انهار الاتحاد السوفيتي
القديم ، بسبب الأزمات الاقتصادية ، التي برزت إلى السطح ، إثر سياستي
الإصلاح والمصارحة ، اللتين اتبعهما (ميخائيل جورباتشوف) ، ومع
الانهيار ، انقسم الاتحاد السوفيتي إلى دويلات صغيرة ، أكبرها (روسيا) ،
التي احتلت مكانة الاتحاد السوفيتي السابق ، في المحافل الرسمية .

ظل (زورين) يرمقه بنظرة صارمة غاضبة لثانية
أخرى ، قبل أن يقول في حزم :

- هذا الاجتماع بالغ الأهمية والخطورة بالفعل ، فاليوم
سأشرح لكم خطتي النهائية لاستعادة السيطرة على الجيش
والحكومة ، كخطوة أولى للتغلب على الانهيار ، وعودة
الاتحاد السوفيتي القديم ، بمجده وعظمته .
غمغم أحدهم :

- هذا ما ينادى به (جرينوفسكي) (*) ، ولكن الأمر
يبدو لي مستحيلًا ، بعد كل ما حدث من تغيرات اجتماعية
واقتصادية .

هز (زورين) رأسه ، قائلاً :

- لا توجد مستحيلات .. لقد درسنا الأمر من كل
جوانبه ، وسأثبت لكم أن كل شيء ممكن .
وأخرج من جيبه أسطوانة كمبيوتر ، لوّح بها قائلاً :
- هنا ، وفي هذه الأسطوانة المدمجة ، ستجدون الخطة
الكاملة لاستعادة المجد .. خطة الإعصار ، الذي سيجتاح
العالم أجمع ، ويعيد للسوفيت عظمتهم السابقة .

(*) (فلاديمير جرينوفسكي) : سياسي روسي ، ظهر في الآونة
الآخيرة ، منادياً بعودة المجد العسكري السوفيتي القديم ، ويلقى نجاحًا واضحًا
في الأوساط الشعبية الروسية ، التي تعاني الكثير من الأزمات الاقتصادية ،
بعد انهيار الاتحاد السوفيتي القديم .

وتأملت عيناه بشدة ، وهو يستطرد في حماس مطلق :
- الإعصار الأحمر .

خفقت قلوبهم في قوة ، وعيونهم متعلقة بأسطوانة الكمبيوتر المدمجة ، التي دسها (زورين) في الفراغ الخاص بها ، في وحدة جهاز كمبيوتر كبير ، موضوع على المائدة ، ثم انتقلت أبصارهم إلى الشاشة ، و (زورين) يضغط أزرار الكمبيوتر ، قائلاً :

- هنا متجدون أسماء كل حلفائنا ، في أركان الاتحاد السوفيتي المختلفة .. وكما ترون ، ففيهم جنرالات من الجيش ، والبحرية ، والطيران ، وخبراء في التسليح النووي ، ورجال مال ، واقتصاد ، وسياسة .. أكثر من مليون رجل ، ينتظرون إشارة واحدة منا ، ليبدءوا (عصارنا الساحق) .

سأله أحد الرجال الخمسة في حماس :

- ومتى ؟ .. متى ينطلق الإعصار الأحمر ؟!

شد (زورين) قامته ، مجيباً :

- لقد بدأ العد التنازلي بالفعل أيها السادة ، وبعد أقل من أسبوعين ، سينقلب كل شيء رأساً على عقب .. لن يكون الأمر سهلاً ، ولن يقف الأمر يكيون صامتين ، حتى نستعيد سطوة الاتحاد السوفيتي ، ونعيد الشيوعية ، التي

اعتبروها دوماً عدوهم الأول .. ولهذا فالخطة قاسية وعنيفة .. سنضحي فيها بالكثير ، في سبيل النصر الدائم .: وربما اضطررنا لضرب عدد من الدول بالرءوس النووية ، مثل (أفغانستان) ، و (ألمانيا) و (مصر) ، وفي الخطوة التالية سنضطر إلى ...

قاطعته بفتة أزيز مباغت ، انطلق من جهاز الكمبيوتر ، الذي حملت شاشته عبارة متألقة ، تدخل خارجي ، .. امتنع لها وجه (زورين) ، وهتف في ارتياح عصبي :
- مستحيل !.. مستحيل !.. ماذا يحدث هنا يا (بوري) ؟
انقضّ ممشوق القامة على جهاز الكمبيوتر ، وانتزع من مكانه ، ثم أطلق صرخة غاضبة ، وهو يحنق في ذلك الجسم الصغير ، الذي التصق بقاعدته ، وامتدت منه أسلاك رفيعة إلى داخل الكمبيوتر نفسه ..

وعرف (زورين) ذلك الجسم الصغير من النظرة الأولى .. إنه جهاز تصنّت خاص ، على أجهزة الكمبيوتر ، يلتقط كل ما تحويه ذاكرته الأساسية والإضافية ، ويبيته لاستكيا إلى نصفه الآخر ، عبر موجة خاصة ، تنقل كل هذا إلى ذاكرة جهاز كمبيوتر آخر ..

ونفجرت ثورة الغضب والذعر في نفس (زورين) ، وهو ينتزع للجهاز ، صارخاً :

- فعلوها .. فعلوها يا (بوريس) .

توتر الموقف كله في عنف ، وصرخ أحد الرجال الخمسة :

- ماذا حدث ؟ .. ماذا حدث ؟

تجاهله (زورين) تمامًا ، وهو يهتف :

- ابحث عنه يا (بوريس) .. استعد ما سرقوه منه ..

هذا الجهاز قصير المدى ، لن يمكنه البث لأبعد من المبنى

المجاور .

زمجر (بوريس) في وحشية ، واندفع يغادر المكان ،

في حين شهق رجل آخر ، وهو يقول في هلع :

- (زورين) .. لقد كشفوا أمرنا .. أليس كذلك ؟!

صاح به (زورين) :

- اخرس .. لا تتطرق بكلمة واحدة .. لا أحد يمكنه كشف

أمرنا .. إنها مشكلة بسيطة ، وسيحلها (بوريس) في

دقائق معدودة .

وانعقد حاجباه في شدة ، وهو يضيف :

- خذوها كلمة مني .

هتف رجل آخر في ارتياح :

- وماذا لو لم ينجح (بوريس) هذا ؟

أجابه (زورين) في صرامة :

- سينجح .. أنا واثق من هذا .

وازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يضيف في حزم :

- إنه تلميذى .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها (زورين) بعبارة ، كان

(بوريس) ينطلق كالوحش ، نحو المبنى المجاور ، ولم يكـد

يبلغه ، حتى لمح رجلًا يغادره مسرعًا ، ويقفز داخل سيارة

صغيرة ، وينطلق بها نحوه ، محاولًا الفرار من المكان ..

وبلا تردد ، اعترض (بوريس) طريق السيارة ، التي

لم تحاول الالتفاف حوله ، وإنما انقضت عليه مباشرة ،

فأطلق زمجرة غاضبة ، وانتظر حتى أصبحت قاب قوسين

منه ، فوثب نحوها ، وهو يطلق صرخة مخيفة ، وارتطم

بزجاجها الأمامى في عنف ، ثم تشبث بها بكل قوته ، وهي

تتحرف إلى الشارع الرئيسى ..

وفي قوة عجيبة ، أمسك (بوريس) حاجز النافذة

بأصابع كالفلواز ، وهوى بقبضته على الزجاج الأمامى

مرة ، ومرتين ، وثلاث مرات ..

ومع الضربة الثالثة ، حطمت قبضته الزجاج ،

واخترقته لتهوى على فك قائد السيارة ، الذي تأوه في ألم ،

وانحرف بالسيارة على الرغم منه ، فارتطمت بإفريز

الشارع ، ووثبت على نحو مخيف ، لترتطم بأحد أعمدة

الإتارة ، وتنقلب في عنف ، ثم تنزلق بضعة أمتار فوق

الثلوج ، قبل أن تستقر في وسط الشارع ..

وفي الوقت الذي اندفع فيه عند من المارة ، مع أحد رجال الشرطة ، نحو السيارة المقلوبة ، كان (بوريس) ، الذي سقط مع الارتطام الأول ، ينهض واقفاً ، ويصرخ في صرامة ، وهو يبرز بطاقة ذات طابع خاص :
- ابتعدوا .. (كي . جي . بي) (*) .

لم يكن ذلك المصطلح القديم قد فقد رهبته بعد ، لذا فلم يكذب (بوريس) ينطقه ، حتى تراجع الجميع في سرعة ، وجرى بعضهم مبتعداً عن السيارة ، التي برز الرجل من نافذتها ، وقفز منها إلى الثلوج ، وراح يجرى بكل قوته ، فصاح به (بوريس) ، وهو يبرز مسدسه :

- توقف وإلا ..

لم يكن يعني مجرد التهديد بصيحته هذه ، فقد تبعها بإطلاق النار على الفور ، دون أن يمنح الرجل فرصة لتحديد موقفه ..

واختزلت إحدى رصاصات (بوريس) كتف الرجل ، الذي سقط أرضاً ، ثم عاد ينهض في سرعة ، ويعاود الجري بأقصى سرعته ، فوثب (بوريس) متجاوزاً السيارة المقلوبة ، وانطلق يعدو خلفه ، فانتزع الرجل مسدسه بدوره ، واستدار يطلق رصاصتين نحو (بوريس) ،

(*) كي . جي . بي : المخابرات السوفيتية .

الذي ألقى نفسه أرضاً متفادياً الرصاصتين ، ولكنه لم يكذب ينهض ، حتى فوجئ بأن الرجل قد اختفى تماماً ، فهب واقفاً ، وصاح في غضب :
- اللعنة !.. أين ذهب ؟

وانقضَّ على رجل الشرطة ، صارخاً في وجهه :
- أين ذهب الرجل ؟

أشار رجل الشرطة إلى شارع جانبي بأصابع مرتجفة ، وهو يقول :
- هناك .. هناك .

دفعه (بوريس) في قسوة ، وانطلق يعدو نحو ذلك الشارع الجانبي ، ولم يكذب يبلغه ، حتى انعقد حاجباه في شدة ، وهو يحذق في بقع من الدم ، تتأثرت في خط شبه متصل ، حتى مدخل نهاية قريبة ، فاندفع نحوها ، وراح يتعطب بقع الدم ، التي توقفت عند باب إحدى الشقق ، فتراجع (بوريس) خطوتين ، ثم أطلق النار على رتاج الباب ، وانقضَّ عليه بقتحه في عنف ..

ومن داخل الشقة ، انطلقت نحوه رصاصتان ، تفاداهما بفقرة جانبية ، ثم وثب أرضاً ، ودار حول نفسه في خفة ، قبل أن يفرغ خزائنه مسدسه كلها في صدر الرجل ، الذي انتزعته الرصاصات من مكانه ، وقذفت به عبر الحجرة ، ليرتطم بالجدار ، ثم يسقط جثة هامدة ، تاركاً بقعة رهيبة من الدم على الجدار ..

وفي حسم ، نهض (بوريس) ، وألقى نظرة صارمة
على جثة غريمه ، قبل أن يدير عينيه في المكان ..
وفجأة ، انبعث صوت خافت من ركن الردهة ، فالتفت
إليه (بوريس) في سرعة ، واتخذ حاجباه مرة أخرى ،
وهو يحثي في شاشة جهاز كمبيوتر ، حملت عبارة
مستغزة تقول :

- انتهى الإرسال .

وفي غضب ، انقض (بوريس) على جهاز الكمبيوتر ،
وزمجر في غضب ، عندما لمح وصلة الهاتف المرتبطة
به ، وانتزع منه الأسطوانة المدمجة في عنف ، والنيران
تشعل في أعماقه في ثورة ..

لقد وصل متأخراً بضع لحظات ..

وفي هذه اللحظات القليلة ، نجح الرجل في نقل
محتويات الأسطوانة المدمجة ، التي تحمل خطة
(زورين) كلها عبر الهاتف ، إلى مكان ما ..
مكان مجهول ..

★ ★ ★

لقد انتهى أمرنا يا (زورين) .. انتهينا جميعاً ..
هتف أحد الرجال الخمسة بتلك العبارة في انهيار ، داخل
قاعة الاجتماعات السرية ، فصاح به (زورين) في صرامة
عصبية :



ثم وثب أرضاً ، ودار حول نفسه في خطة ، قبل أن يفرغ خزانة

مسدسه كلها في صدر الرجل ..

- اصمت يا رجل .. لا تفقد أعصابك بهذه السرعة .
أجاب رجل آخر :

- ولكنه نقل الخطة عبر الهاتف يا (زورين) .. نقل كل التفاصيل ، التي تكفي لإلقاء الجميع في السجون والمعتقلات ، وتكفي لإعدامنا جميعًا ، لو وقعت في يد (يلتسن) (*) .

هاتف (زورين) في غضب :

- اصمت يا رجل .. هل نسيت من أنا ؟! .. إتنى النائب الأول لرئيس جهاز المخابرات السوفيتي ، ومازلت أملك سلطات واسعة ، وشبكة اتصالات لا بأس بها ، تمكنتي من تدارك الأمر بقدر الإمكان .

ثم أشار إلى الهاتف ، مستطردًا في حدة :

- ولقد أجريت اتصالاتي كما رأيتم ، وما هي إلا دقائق معدودة ..

قاطعه رنين الهاتف بغتة ، فاخطف ساعته في سرعة ، ووضعها على أنفه ، قائلاً :

- هنا (زورين) .. ماذا لديكم ؟

(*) (بوريس يلتسن) : (١٩٣١ -) : رئيس (روسيا) الحالي ، وهي أكبر لولايات الاتحاد السوفيتي السابق ، وهو من كبار المنادين بسياسة الإصلاح الاقتصادي الجديدة ، ولكن سياسته أدت إلى الطرد من الأزمات ، وإلى انتشار الفقر والبطالة في (روسيا) .

التقى حاجباه ، وهو يستمع إلى محادثته في اهتمام ، قبل أن يغمغم :

- إنني فلم تكن محادثة مطية ، بل كانت محادثة بولية .. رقم في (برن) .. (سويسرا) .. عظيم .. هذا يعني أنه ليس جاسوسًا محليًا أو أمريكيًا على الأقل .. نعم .. تابعوا البحث .. كل معلومة جديدة ستفيد كثيرًا بالتأكيد .

وأنهى المحادثة ، وهو يلتفت إلى الرجال الخمسة ، قائلاً :

- لقد نقل الخطة عبر الهاتف ، إلى كمبيوتر آخر في (برن) .

قال أحدهم متوترًا :

- وما أدراك أنه ليس أحد مكاتب المخابرات المركزية الأمريكية هناك ؟

لوح (زورين) بيده ، قائلاً :

- إننا نحفظ أرقام مكاتبهم في كل أنحاء العالم ، عن ظهر قلب .

وعقد كفيه خلف ظهره ، قبل أن يستطرد في صرامة :

- ثم إن ذلك الرجل ، الذي تخلص منه (بوريس) ليس أمريكيًا ، ولا نعتقد أنه عميل للمخابرات المركزية الأمريكية ،

ولا للمكتب السادس البريطاني ، فهو لم يتبع أحد الأساليب
التقليدية للجهازين .. إنه - على الأرجح - يتبع منظمة
تجسس خاصة ..

هتف أحدهم ذاهلاً :

- منظمة تجسس خاصة ؟!.. لم أسمع عن هذا في
حياتي قط .

أجابه (زورين) في حزم :

- لأنك لم تعمل في مجالنا قط .

ثم لوح بيده ، وهو يلتقط سماعة الهاتف ، مضيقاً :
- ولكن هذا لا يهم ، فأياً كان خصمنا ، ستبدأ تحركاتنا
من هذه اللحظة ، فهذا أحد الدروس التي تتعلمها ، مع
خطوتك الأولى في مجالنا .

وضغط أزرار رقم سرى خاص ، مستطرداً في حزم :
- ألا تضيق لحظة واحدة .

وكان هذا إيذاناً ببداية معركة جديدة ..
ورهيبة ..

★ ★ ★

٢ - من ؟!..

رفع مدير المخابرات العامة المصرية عينيه ، عن
الأوراق التي انهمك طويلاً في مراجعتها ؛ ليستقبل (أدهم
صبرى) في مكتبه ، وهو يقول في لهجة حازمة ، تشف
عن أهمية الأمر وخطورته :

- مرحباً يا (ن - ١) .. اجلس ، فالحديث بيننا
سيطول .

اتخذ (أدهم) مجلسه ، وهو يسأل :

- هل الأمر خطير إلى هذا الحد يا سيدي ؟

أزاح المدير أوراقه جانباً ، وهو يقول في اقتضاب :
- بالتأكيد .

ثم شبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يسأل في
صرامة :

- قل لي يا (ن - ١) : ألم تنقبه إلى أن رحلتك إلى
الولايات المتحدة الأمريكية تزايدت إلى حد كبير ، في
الآونة الأخيرة ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

- إننى أذهب للاطمئنان على (منى) يا سيدي ، فمئذ
أصابتها هناك ، ووقوعها ضحية غيبوية عميقة (*) ،
وأنا ...

قائله المدير فى حدة :

- عذر أقبح من ذنب يا (ن - ١) .. أنت رجل
مخابرات محترف ، وتعلم أن هذا الأسلوب العاطفى
مرفوض تماماً فى عملنا .. أنا أعرف مدى ارتباطك بالرائد
(منى توفيق) ، ولكن العمل عمل .. لا ينبغى أبداً أن
نبحث عنك هنا وهناك ، كلما احتجنا إليك .

تنهد (أدهم) ، قائلاً :

- أعلم هذا يا سيدي ، ولهذا أبذل قصارى جهدى الآن ،
فى محاولة لنقل (منى) إلى هنا .
عقد المدير حاجبيه ، وهو يقول :

- سيكون هذا أفضل بالتأكيد .

ثم مال نحوه ، مستطرذا :

- والآن ألق هذا الموضوع خلف ظهرك ، واستمع إلى
جيدا ، فلدى بالفعل أمر بالغ الخطورة ، يحتاج منا إلى
تحرك سريع .

اعتدل (أدهم) ، قائلاً فى اهتمام :

- كلى أذان مصغية يا سيدي .

(*) راجع قصة (الضربة القاصمة) .. المغامرة رقم ١٠٠

اعتدل مدير المخابرات فى مجلسه ، وهو يقول :

- ما سأخبرك به يندرج تحت بند (السرية المطلقة)

يا (ن - ١) ، وهذا يعنى عدم إلقاء أية أسئلة ، حول
إمكانية حصولنا على هذه المعلومات .. هل تفهم هذا ؟

أوما (أدهم) برأسه إيجابياً ، وقال :

- نعم يا سيدي .. بند (السرية المطلقة) ، يعنى أن
المعلومات محصورة بينك وبين السيد رئيس الجمهورية
فحسب .

أوما المدير برأسه موافقاً ، وقال :

- بالضبط .. والآن استمع إلى قصتى ..

وطوال نصف ساعة كاملة ، راح مدير المخابرات يروى
له ما حدث فى (موسكو) ، بكل ما توافر لديه من
معلومات دقيقة ، واستمع إليه (أدهم) فى اهتمام شديد ،
دون أن يقاطعه ولو لمرة واحدة ، حتى بلغ المدير تلك
النقطة ، التى أرسل فيها (زورين) رجاله إلى (برن) ،
للبحث عن نسخة الأسطوانة المدمجة ، التى تحوى الخطة
كلها ، فقال (أدهم) فى قلق :

- هذا يعنى أننا تأخرنا أربعاً وعشرين ساعة كاملة

يا سيدي ، مما يمنح الروس بعض التفوق .

هز مدير المخابرات رأسه نفياً ، وقال :

- ليس كما تتصور ، فعندما وصل الروس الى ذلك المكان في (برن) ، عثروا على جهاز كمبيوتر فارغ ، فقد استقبل أحدهم الرسالة ، وسجل الخطة على أسطوانة كمبيوتر مدمجة ، ثم اختفى .

قال (أدهم) في أسف :

- إذن فقد غادر (سويسرا) .

عاد مدير المخابرات بهز رأسه ، مجيباً :
- ليس بعد .. لدينا من المعلومات ما يؤكد أن الخطة

لا تزال في (برن) .

سأله (أدهم) :

- وهل تدرج تلك المعلومات تحت بند (السرية

المطلقة) أيضاً ؟!

أجاب المدير في اقتضاب :

- نعم ..

ثم أضاف بسرعة :

- لا أحد يعلم حتى الآن الجهة التي وراء هذا العمل .

ولكن من الواضح أنها إحدى منظمات التجسس الخاصة ،

لأنها تتفاوض الآن لبيع ما لديها بأكثر ثمن ممكن .

اعتدل (أدهم) في مقعده . وهو يسأل في اهتمام :

- هل تلقينا عرضاً منهم ؟

هز المدير رأسه نفياً مرة أخرى ، مجيباً :

- كلا للأسف ، فقد اتجهوا بثقلهم كله إلى الأمريكيين ،

الذين لم يترددوا لحظة واحدة في قبول الصفقة ، حتى

يمكنهم الحصول على تفاصيل خطة عودة الشيوعية إلى

الشرق . بعد أن تنفسوا الصعداء لانتهيارها منذ عدة

سنوات .

مراجع (أدهم) في مقعده ، وصمت لحظة ، قبل أن يقول :

- ما زلت لا أفهم .. ما دورنا نحن في اللعبة ؟! ..

المفروض أن الأمريكيين يرفضون عودة الشيوعية ،

وسيبذلون قصارى جهدهم لكشف الخطة ، وتدمير ذلك

الطابور الخامس (*) ، الذي يخطط لعوبتها ، فلماذا

لا نجلس هانئين ، ونكتفى بمراقبة الموقف من بعيد ؟

أجابه المدير :

لأننا نريد نسخة من الخطة يا (أدهم) .. لقد علمنا أنها

تتضمن ضرب (مصر) بالرءوس النووية السوفيتية ،

ولكننا لا نعرف متى وكيف ، ولو حصل الأمريكيون على

الخطة وحدهم ، لن نعلم هذا أبداً ، وربما كان هناك خطر

يتهددنا بشكل دائم ، ونحن نجهله حتى هذه اللحظة ، ثم إن

(*) الطابور الخامس : مصطلح ابتكره الألمان ، إلهي الحرب العالمية

الثانية (١٩٣٩ - ١٩٤٥) ، للدلالة على سلاح من العملاء السريين ، يمكنه

التسلل الى أي مكان ، وتحقيق نجاحات كبيرة ، دون أن يعرفه العدو

للأمريكيين سياسة معقدة للغاية ، في التعامل مع مثل هذه الأمور ، فهم يميلون دائماً إلى رعاية المعارضة ، والأفكار المضادة في كل مجتمع ، كوسيلة للضغط على نظم الحكم القائمة ، أو السيطرة عليها ، وإذا ما حصلوا على الخطة ، فربما اكتفوا باغتيال بعض جنرالات وقادة الجيش الروس ، من المشاركين في العملية ، ثم وضعوا (زورين) والآخرين تحت سيطرتهم ، بتهديدهم بكشف أمرهم ، وبعدها سيستغلونهم في عمليات أخرى ، قد يكون من ضمنها تهديد (مصر) بتلك الرؤوس النووية ، التي مازلنا نحمل أين هي ، وكيف يمكنها توجيه ضربة مباشرة لنا .

ثم تنهّد في عيني ، قبل أن يضيف في حزم :
- باختصار .. ليس من مصلحتنا أن تقع الخطة في أيدي الأمريكيين ، وليس من مصلحتنا أيضاً أن تظل مجهولة لنا .

أوماً (أدهم) برأسه متفهّماً ، وهو يقول :
- فهمت يا سيدي .. المطلوب إذن هو أن نعترض الصفقة ، بين الأمريكيين وتلك المنظمة السرية ، التي مازلنا نحمل كينونتها ، وأن نحصل نحن على الخطة ، ونمنع الأمريكيين من حصولهم عليها .

أجابه المدير في حزم :

- بالضبط .. هذه هي مهمتك بالتحديد يا (ن - ١) .

نهض (أدهم) ، قائلاً :

- ومتى أسافر إلى (برن) يا سيدي ؟

أجابه المدير في هدوء :

- خلال ساعتين فحسب يا (ن - ١) ، ولكن من

الضروري أن تعرف أمرين بالغين الأهمية .. أولهما أنك لن تعمل وحك هذه المرة .

عقد (أدهم) حاجبيه ، مغمضاً :

- لن أعمل وحدى ؟!

أجابه المدير في صرامة :

- نعم يا (ن - ١) .. سيشاركك المهمة أحد عملائنا

هناك ، وستجد عبارة التعارف السرية بينكما في الملف الخالص ، الذي ستدرسه قبل سفرك .

لم يرق هذا الأمر لـ (أدهم) ، إلا أنه كان يدرك جيداً

عدم قدرته على رفضه ، فقال في شيء من الضيق :

- فليكن .. ما الأمر الآخر ؟

صمت المدير لحظة ، قبل أن يجيب في حزم

- ستواجه في هذه العملية اثنين من خصومك القدامى ،

أحدهما على رأس الفريق الأمريكي ، والآخر على رأس

الفريق الروسى .. الأول هو (رونالد جير) ، الذى هزمته
هزيمة منكرة ، فى عملياتك السابقة فى (كراكس) (*) .
سأله (أدهم) فى شيء من الاهتمام :

- وماذا عن الثانى ؟ .. الروسى ؟

أجابه المدير فى حسم :

- (كوربوف) .. الكوبرا .. (سيرجى كوربوف)
يا (ن - ١) (* *) .

ران عليهما الصمت لحظة ، قبل أن يغمغم (أدهم) :
- رائع .. هذا يعنى أنها ستكون عملية قاسية وعنيفة ،
و ...

وارتسمت على شفتيه ابتسامة باهتة ، وهو يستطرد :

- وباردة .. باردة كالثلج .
ولم يدر لحظتها أن حديثه لم يكن مجرد رأى أو تعبير ..
بل كان نبوءة ..
نبوءة حقيقية ..

★ ★ ★

لقد وصل ..

غمغم (إيفان كينسكى) ، رجل المخابرات الروسى
بالعبارة ، فى مطار (برن) ، وهو يومئ برأسه نحو رجل

(*) راجع قصة (المحترف) المغامرة رقم ١٠٢

(* *) راجع قصة (سم الكوبرا) . المغامرة رقم ٥١

أشقر طويل ، صارم الملامح ، يغادر المطار إلى سيارة
أمريكية ضخمة ، تقف أمامه مباشرة ، فتطلع (سيرجى
كوربوف) إلى الرجل بدوره ، ومط شفتيه فى ازدراء ، قائلاً :
- أه .. (رونالد جير) ، رجل المخابرات الرأسمالى
الصارم .. إنه لا يستطيع مقاومة نزعاته المرفهة أبداً .
هز (إيفان) كتفيه ، قائلاً :

- إنه لا يجد داعياً لهذا ، فقد قضى حياته كلها وسط
الرفاهية والرأسمالية .

قال (سيرجى) فى صرامة :

- وهذا ما يفسدهم .

تطلع إليه (إيفان) فى سخرية ، لم يلبث أن أخفاها فى
أعماقه بسرعة ، وهو يغمغم :

- ربما .

كنا يتابعان حركة سيارة (جير) فى اهتمام ، وهى
تنطلق مبتعدة عن المطار ، فأدار (إيفان) محرك
سيارتهما بدوره ، قائلاً :

- هل تتبعهما ؟

هز (سيرجى) رأسه نفياً ، وهو يجيب فى بظء :

- كلا .. (جير) يعرفنى جيداً ، ولو وقع بصره على
مرة واحدة ، ستفسد العملية كلها .. أترك هذا الأمر
لـ (أنستازيا) .. إنها تعرف دورها جيداً .

سأله (إيفان) في دهشة :

- لماذا أتينا إلى هنا إذن ؟

أجابه (سيرجى) في صرامة :

- ليس هذا من شأنك .

ثم أشعل سيجارة روسية ، نفاذة الرائحة ، قبل أن يشير

بيده ، قائلاً :

- هيا .. دعنا نعد إلى مقر العمل .

انطلق (إيفان) بالسيارة ، فور سماع العبارة ، ثم

ضغط فراملها في قوة ، عندما كاد يرتطم بشيخ طاعن في

السن ، هبط من الإفريز في اللحظة نفسها ، فصاح

(سيرجى) في غضب بالفرنسية :

- ابتعد أيها المأفون .. كدنا ندهسك بإطارات سيارتنا .

لوح الشيخ بيده ، قائلاً في تهالك :

- ليس هكذا تعامل شيخاً في عمر والدك .

صاح به (سيرجى) في صرامة :

- أمثالك ينبغي أن يلحقوا بقطار الجحيم أيها الغبي .

ثم أشار إلى (إيفان) بالانطلاق ، فابتعدت سيارتهما

في سرعة ، والشيخ يهز رأسه ، مغففاً في أسى :

- لم يعد الشباب يحترمون الشيوخ في هذا الزمن .

قالها ، وهو يتابع السيارة ببصره لحظات ، قبل أن يطل

من عينيه بريق حيوى ، يتعارض تماماً مع ملامحه

المتفضضة ، وهو يكمل بالعربية في سخرية :

- إذن فأنت لم تتعرفنى يا عزيزى الوغد

(كوربوف) .. هذا يؤكد أن تنكرى ناجح تماماً .

كان تنكر (أدهم) متقناً بالفعل إلى حد مدهش ، فقد

امتلاً وجهه بالتجاعيد ، وبدأ رأسه أصلع ، واحتل الشيب

قوديه بأكملهما ، واختفت عيناه خلف منظار داكن سميك ،

وانحنى ظهره على نحو يوحى بضعفه وتهالكه ، وهو يقف

أمام مبنى المطار ، في انتظار ذلك العميل ، الذى أشار إليه

مدير المخابرات ، والذى سيتعاون معه في هذه المهمة ..

وكعادته ، راح (أدهم) يجترأ أفكاره ومعلوماته ، في

وقت الانتظار ..

لقد راجع ذلك الملف ، الذى أعطاه إياه مدير المخابرات

كلمة بكلمة ، وحرفاً حرفاً ..

وكل هذا قاده إلى نتيجة واحدة ..

أنه يواجه اثنين من أقوى أجهزة المخابرات في

العالم ..

المخابرات الأمريكية ، والمخابرات السوفيتية ..

هذا بالإضافة إلى منظمة جاسوسية خاصة ، يجهل كل

شئ عن نشاطها ، ومدى قوتها وانتشارها ..

والحديث عن المنظمات الخاصة يعيد إلى ذهنه ذكريات
شتى ..

ذكريات صراعه مع تلك المنظمة ، التي أنشأتها عدوته
اللدود (سونيا جراهام) يوماً ..
منظمة (سناك) (*) ..

وعلى الرغم منه ، تتداعى الذكريات ، حتى تصل به إلى
لقائه الاول مع (سونيا) (*) ..

ثم تصطدم بزواجه منها (*) ..

وبالابن الذى أنجبته منه (*) ..

ذلك الابن الذى فرّت به ، واختفت لفترة طويلة ، فضاها
فى البحث عنهما ، حتى كان ذلك اللقاء الرهيب بينهما ..
اللقاء الذى فقد فيه ابنه إلى الأبد (*) ..

هل ترغب فى عبور الشارع طولياً يا سيدى ؟ ..
انتزعته العبارة من أفكاره وذكرياته ، وتعرف فيها
على الفور عبارة السر المتفق عليها ، فاستدار مجيباً
بالفرنسية فى هدوء :

(*) راجع قصة (الفلاس) المغامرة رقم ٩٨

(*) (*) راجع قصة (أبواب الجحيم) المغامرة رقم ١٩

(*) (*) (*) راجع قصة (الرجل الآخر) .. المغامرة رقم ٨١

(*) (*) (*) (*) راجع قصة (جزيرة الجحيم) .. المغامرة رقم ٨١

(*) (*) (*) (*) (*) راجع قصة (الصرصة القصصية) .. المغامرة رقم ١٠٠

- بل أفضل المبيت فى الظل -

ارتطم بصره بابتسامة كبيرة ، فى نفس اللحظة التى
التقطت فيها أنه العبارة الأخيرة من شفرة التعارف :

- ولم لا ؟ .. ما دامت الشمس ساطعة أكثر مما ينبغى .
والتقى حاجباه فى شدة ، وهو يحدق فى وجه العميل
المنتظر ..

فالواقع أنها كانت مفاجأة له ..
مفاجأة مدهشة .

★ ★ ★



٣ - الصفقة ..

انعقد حاجبا (أدهم) في شدة ، وهو يحدق في الشقراء
الفاثنة ، التي تقف أمامه ، والتي تباينت معه منذ لحظة
واحدة عبارات شفرة التعارف السرية ، ثم وقفت تبسم
ابتسامة هائلة سحرة ، تحمل مزيجا خفيا من الجدل
والخبث ، جعله يقول في صرامة :

- لم يخبروني أنك أنثى !

ابتسمت الشقراء ، ذات العينين الزرقاوين ، وهي

تقول في شيء من الخبث :

- أيصنع هذا فارقا ؟

اعتدل ، قائلا :

- بالتأكيد .

سألته في سرعة :

- وما هذا الفارق ؟

أجابها في سرعة مماثلة :

- لا يروق لي أن أعمل مع أنثى ، في الوقت الحالي .

رفعت أحد حاجبيها الجميلين ، وهي تقول في خبث :



انعقد حاجبا (أدهم) في شدة ، وهو يحدق في الشقراء الهائجة .

التي تقف أمامه ..

- عجباً!.. ما لدى من معلومات عنك ، يؤكد أنك
عملت لفترة طويلة مع الزميلة (منى توفيق) .
عقد حاجبيه ، وهو يقول صارماً :
- الزميلة ؟

أجابته فى هدوء :
- نعم .. الزميلة (منى توفيق) .. آه .. نسيت أن أقدم
لك بحسى .. أن (جيهان فريد) .. ورثتني نقيب يا سيادة
العميد ، و ...

وصمتت بفترة ، لتتلفت حولها ، قبل أن تستطرد :
- أليس من الأفضل أن نبتعد عن هنا ؟!.. أخشى أن يثير
حديثنا انتباه البعض ، أو ...

قاطعتها فى حزم :
- أين سيارتك ؟
أشارت إلى سيارة أنيقة ، قليلة :
- ها هي ذى .

اتجهت معها إلى سيارتها ، التى انطلقت بها على الفور ،
وهي تقول :

- هل تعلم أننى والرايد (منى توفيق) تخرجنا فى دفعة
واحدة ، من أكاديمية الشرطة ؟!.. صحيح أنها تحمل رتبة
رايد ، فى حين مازلت أحمل أنا رتبة نقيب ، ولكن هذا يعود
إلى أنها قد حصلت على ترقية استثنائية ، بسبب عملها معك .

ثم رمقته بنظرة جانبية . مستطردة :
- وهذا ما أطمح إليه .
أجابها فى صرامة :

- هناك وجهان لكل عملة ، فربما حصلت (منى) على
ترقية استثنائية ، ولكنها ترقد الآن فى غيبوبة عميقة ،
يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده متى تستيقظ منها .
هزت كتفها ، قائلة :

- القدر لا يسير أبداً فى خطوط متوازية ، ومن المؤكد
أننى و (منى) نختلف كثيراً عن بعضنا . هل تعلم أن لئون
شعري الأشقر هذا طبيعى ؟!.. إنه ليس مصبوغاً .. لقد
ورثته عن جنتى لأمى ، فهى ذات أصول فرنسية ، و ..
قاطعتها فى حزم :

- ما تقريرك عن الموقف ؟!.. هل أرسلت من يتعقب
(جبر) ؟

أجابته فى بساطة :
- بالطبع .. لقد انطلق خلفه أحد رجالنا ، فور مغادرته
المطار ، ونحن نعلم أن السفارة الأمريكية قد حجزت له
الجناح رقم (٧٠٦) ، فى (جنيف) ، وهذا يعنى أن
الصفقة ستعقد هناك على الأرجح .

قال في صرامة :

- ليس هذا ضرورياً .. في عالمنا تستخدم الأمور الواضحة للخداع في المعتقد ، ونو أنهم حجزوا الجناح باسمه في (جنيف) ، فربما يعنى هذا أن الصفقة لن تتم هناك على الأرجح

مُرّت كتبها مرة أخرى ، قائلة :

- ربم .. المهم أننا نتبعه طوال الوقت ، ولن يمكنه الإفلات منا قط ..

رمفها بنظرة قصيرة ، قبل أن يفهم :

- ربما .

ابتسمت ابتسامة باهتة ، وهي تقول :

- ألا تنق بنا يا سيادة العميد ؟!

تجاهل سؤالها تماماً ، وكأنه لم يسمعه ، وهو يقول :

- اذهبي بنا مباشرة إلى المنزل الآمن ، فانا في حاجة إلى تبديل ثيابي ، واتخاذ هيئة أكثر بساطة ، تساعدنى على الحركة .

أنت النحبة العسكرية في شيء من المرح ، وهي تقول :

- تحت أمرك يا سيادة العميد .

التقى حاجباه في صرامة ، وهو يقول :

- لا داعى لهذا العبث الطفولى ، ستلفتين الأنظار إلينا

بأسلوبك هذا .

ضحكت قائلة :

- لست أعتقد هذا ، فهنا لا أحد ينتبه إلى أحد ، أو يلتفت إليه .. كل شخص حر فيما يقول أو يفعل ، ما دام لا يسبب ضرراً لغيره .

أشار بيده ، قائلاً :

- عظيم .. دعينا نذهب إلى المنزل الآمن أولاً ، ثم نناقش قضية التفريب هذه فيما بعد .

تطلعت إليه لحظة في تساؤل ، وانفجرت شفتاها لحظة ، وكأنها تهتم بقول شيء ما ، ثم لم تلبث أن لانت بالصمت ، وواصلت انطلاقها بالسيارة ، حتى بلغت ذلك المنزل الآمن ، وهناك تخلص (أدهم) من تذكره في هيئة الشيخ ، واكتفى بتكر بسيط ، فقط شعر أشقر وزوج من العدسات الزرقاء ، وشارب كث ، ومنظار طهى عادى ، ولم يكذ بغادر حجرته ، حتى قالت (جيهان) ، مشيرة إلى الهاتف :

- رجلنا اتصل ، وأبلغنا أن (جير) داخل السفارة الأمريكية ، التي ذهب إليها فور وصوله ، وربما سيتم عقد الصفقة هناك .

هز (أدهم) رأسه نفياً ، وهو يقول :

- لست أعتقد هذا ، فمندوب المنظمة الخاصة لن يجازف بالذهاب إلى السفارة الأمريكية ، ويوضع نفسه بين فكي الأسد ، ليعقد صفقة ، المفروض أن يفرض خلالها شروطه .

قالت في اهتمام :

— آه .. إذن فسيخرج (جبر) حتمًا ، لمقابلة مندوب المنظمة .

صمت (أدهم) لحظت مفكرًا ، ثم قال :

- ليس بالضرورة .

تَطَنَّتْ إِلَيْهِ فِي حَيْرَةٍ وَتَسَاوَلْ ، قَبْلَ أَنْ يَقُولَ :

- هل لك أن تفسر لي هذا اللغز ؟... كيف يمكن أن يلتقي
(حبر) بمنسوب المنظمة السرية ، دون أن يغادر

السفارة . ودون أن يأتي إليه المندوب ؟

ارتسمت عنى شفتى (ادهم) ابتسامه ، وهو يجيب :

هـ. تمكن برعة المخبرات الأمريكية .

فألها ، وانسأمته لا تمنحها سوى الغموض .

كل الغموض ..

★ ★ ★

توقفت سيارة صغيرة أمام السفارة الأمريكية في (برن) ، وقدم قائدها أوراق هويته لضابط الأمن ، الذي راجعها في دقة واهتمام ، ثم أجرى اتصالاً هاتفياً قصيراً ، سمح بعده للرجل بالدخول الى حديقة السفارة ، بصحبة أحد رجال الأمن ، وهناك انتظر الرجل داخل سيارته لبضع دقائق ، قبل أن يظهر (جير) ، الذي عبر الحديقة في

३८

خطوات واسعة سريعة ، وأشار لرجل الأمن بالتصرف ،
ثم تلف إلى السيارة ، وصافح قائدها ، قائلاً

- ممتز (ويلسون) حسبما اعتقد .. أليس كذلك ؟

أجابه الرجل في هدوء :

- ومن سوای یا مستر (جبر) -

ثم اعتدل وسأله في اهتمام :

— أنت تعرف الغرض من حضوري بالطبع .

أوما (جیر) برأسه إيجایا ، وأشعل سیجارتہ ، وهو
یصاۃ :

- کم خریدون تمنا لها يا مستر (ويلسون) ؟

أجابه (ويلسون) في هدوء :

۱۰. هذا يتوقف على ما تعرضونه يا مستر (جبر) .

تواصلت المساومة بينهما ، في سبيل عقد الصفقة ،
وانتقلت كل كلمة ينطقان بها إلى سيارة صغيرة ، تقف في
نهاية الشارع ، ويجلس داخلها (كوربوف)
و (إيفان) ، والأول يراقب ما يحدث ، عبر منظار خاص
بالروية الليلية ، في حين يستخدم الثاني جهاز التصبُّت ،
وهو يقول مبتسمًا :

.. عظيمة هي التكنولوجيا في الواقع .. في الماضي كنا نضطر للمخاطرة ، من أجل زرع أجهزة التصنت ، أما الآن

فشعاع واحد من الليزر ، يمكنه أداء المهمة من بعيد ،
وأنت جالس في أمان (*) .

قال (كوربوف) في صرامة :

- اصمت يا (إيفان) ، ودعني أنصت جيدًا .
كان هناك شيء ما يفتقه ، في تلك المصاومات ..
شيء لم يمكنه تحديده بالضبط ، على الرغم مما يشعر به ..
ولكن غريزته ، أو خبرته أنبأته بأنه يواجه شيئًا
غير منطقي ..

ولثوان ، ظل يتابع المشهد في صمت ، عبر منظاره
الخاص ، ثم لم يلبث أن قال في حزم :

- أعطني منظار الكمبيوتر .

ضغط (إيفان) زرًا في السيارة ، فانتكشت شاشة
كمبيوتر صغيرة ، التفت من جوارها منظارًا مكعبًا ، يتصل
بالكمبيوتر عبر أسلاك مميكة ، وناولته لـ (سيرجي
كوربوف) ، الذي صوبه إلى مستر (ويلسون) ،
و (إيفان) يسأله :

- هل يراودك الشك في أمر ما ؟

(*) تعتمد أجهزة التصلب الحديثة على إطلاق شعاع غير مرئي من
الليزر ، يسلط على المكان المراد التصلب عليه ، ثم يرتد إلى مصدره ، حملًا
كل الذبذبات التي تنطلق من المكان ، وبواسطة جهاز خاص ، يتم تحويل هذه
الذبذبات إلى أصوات مسموعة يمكن تسجيلها في وضوح .

أجابه (كوربوف) في صرامة :

- الشك لا يفارقني قط .

التقط المنظار صورة إلكترونية لمستر (ويلسون) ،
ونقلها إلى شاشة الكمبيوتر ، فضغط (كوربوف) أزراره
في سرعة ، وتطلع إلى الشاشة في اهتمام ، وهي
تستعرض المخزون لديها من عشرات الصور ، قبل أن
تتوقف عند صورة قريبة الشبه من مستر (ويلسون) ،
وتحمل بيانات تقول :

- (روبرت كالوتشي) .. موظف إداري بالمبنى
الرئيسي للمخابرات المركزية الأمريكية في (فرجينيا) ..
العمر خمس وأربعون سنة .. يتعاون أحيانًا مع الجهاز
التنفيذي ، وجهاز العمليات الخارجية .. متزوج وله
طفلان ، و ...

لم يهتم (كوربوف) بهيكل المعلومات والتفاصيل ،
وهو يقول في حدة :

- اللعنة !.. كنت أشعر بهذا .

أما (إيفان) ، فسأله في توتر :

- ما الذي تعنيه هذه المعلومات ؟

أجابه في غضب :

- لقد خدعونا .. الأمريكيون خدعونا .. (رونالد جير)

كان مجرد فخ لاستدراجنا فحسب ، وهذا الممثل المخيف
يتظاهر بأنه عميل المنظمة الخاصة ، في حين أنه مجرد
موظف في المخابرات الأمريكية .. لقد وضعوا بعض العسل
لجذب الذباب ، في حين يتم عقد الصفقة في مكان آخر .

سأله (إيلان) في توتر :

- أين يا (كوربوف) ؟ .. أين ؟

صاح (كوربوف) :

- اللعنة !.. ومن يدري !.. لقد خدعونا يا رجل ..
خدعونا .

قالها ، وكل خلية من خلاياه تصرخ في ثورة غضب ..
كل خلية ..

★ ★ ★

كنت على حق يا سيادة العميد ..

نطقت (جيهان) العبارة في اهتمام بالغ ، وهي تجلس
أمام جهاز الكمبيوتر ، قبل أن تستطرد في حماس :
- لقد وصل اليوم سرًا إلى (برن) ، رجل آخر من
رجال المخابرات الأمريكية ، يعد أكثر أهمية وخطورة من
(هير) . اسمه (ريتشارد كيلرمان) .

رفع (أدهم) حاجبيه في دهشة ، قائلاً :

- (كيلرمان) بنفسه !.. من الواضح أن الأمريكيين

يعتبرون هذه الصفقة بالغة الخطورة ، إلى الحد الذي
يرسلون معه أشرس رجالهم لعقدها ..

ثم مال نحو الكمبيوتر ، مستطردًا في اهتمام :

- ولكن هل وصل مستخدمًا اسمه الحقيقي ؟

هزت رأسها نفياً ، وهي تجيب :

- كلا .. لقد استخدم اسمًا مستعارًا ، وغير ملامحه

بعض الشيء ، ولكنني استخدمت برنامجًا خاصًا ، تراجع
كل الوجوه ، ويطابقها على أرشيفنا الخاص ، وهذا
ما كشف أمره .

كانت براءة واضحة منها ، ولكن (أدهم) لم يعلق على
الموقف ، وهو يسألها :

- هل علمت أين يقيم (كيلرمان) ؟

أومأت برأسها إيجابًا ، وهي تقول :

- في فندق (البحيرة) في (جنيف) ، تحت اسم
(برت كنوبى) .

ألقي نظرة على ساعته ، وهو يقول :

- عظيم .. أتخشم أن نصل إلى هناك في الوقت
المناسب .

سأته ، وهي تنهض في حماس :

- هل نبدأ تحركنا الآن !؟

أجاب في حزم :

- المفروض ألا نضيع لحظة واحدة .

لم تمض دقائق خمس على هذا الحوار ، حتى كانت سيارتها تتطرق بهما إلى (جنيف) ، وهي تسأل (أدهم) في اهتمام :

- هل نعتقد أننا نستطيع اللحاق بالصفقة ؟

أوما برأسه إيجاباً ، وقال :

- أعتقد هذا ، فمثل هذه الصفقات لا تتم بنفس السرعة ، التي يمكن أن تتم بها الصفقات التجارية التقليدية . ثم إن شريعة المنظمات التجسسية الخاصة هي البحث عن بدفع أكبر ثمن ممكن ، ولن تتم الصفقة مع الأمريكيين ، دون الرجوع إلى المشتريين المحتملين الآخرين .. إنهم يسعون لمعرفة ما يعرضه الأمريكيون فحسب .

غمغت :

- أرجو هذا .

ثم أضافت في حماس :

- المهم أن نتحرك في سرعة ، وما أن يخرج مندوب المنظمة تلك الأسطوانة المدمجة ، حتى تنقض عليه ، وننتزعها منه ، و ...

قاطعها (أدهم) ساخرًا :

- أين تلقيت تدريبك أيتها النقيب ؟ .. في دار حضانة ؟ !

اتعقد حاجباها في غضب ، وهي تقول :

- لست أعتقد أن ما قلته سخيفاً أو ساذجاً ، إلى هذا

الحد !

أجاب متهمكاً :

- حقاً ؟ .. كيف تصوّرت إذن أن مندوب المنظمة

سيذهب لعقد الصفقة ، وهو يحمل الأسطوانة المدمجة ،

وكانه مندوب مبيعات متجول ، يتقاضى ثمن السلعة ، ثم

يخرجها من حقيبته ، ليسلمها للمشتريين على الفور ؟

قالت في حدة :

- حسن .. لن أدلى برأيي فيما بعد قط .

أشار بمسبأته ، قائلاً :

- هذا الفضل .

لم يكذب نطقها ، حتى شعر بلفظاظته في التعامل معها ،

ولم يدرك لماذا فعل هذا !

الآن وجودها إلى جواره يذكره بـ (منسى) ،

ومغامراتهما المشتركة ؟ !

أم لأنها تختلف عنها تماماً بالفعل كما قالت ؟ ..

أم

لم يواصل حديثه الصامت مع نفسه ، وهو يسألها في هدوء :

- هل تلقيت دورات تدريبية ؟

أجابته في تهكم عصبى :

- بالطبع .. تلقيت دورة مكثفة في معاملة الأطفال ،
وأخرى موجزة حول أفلام الرسوم المتحركة ، و ...
قاطعها مهتصمًا :

- عظيم .. من الواضح أنك تتمتعين بروح مرحة .

نظفها في رفة أدهشها ، فالتفتت تحديق في وجهه ،

إلا أنه ضحك ، قائلاً :

- ولكن هل تلقيت دورة عادية في القيادة ، تؤكد

ضرورة النظر إلى الأمام ، عندما يقود المرء سيارة

رياضية ، بسرعة تتجاوز المائة كيلو متر ؟

خلق قلبها مع عبارته المرححة ، وقالت مبتسمة :

- أعتقد أنني أذكر شيئاً كهذا .

كانت هذه المبادرة منه تذيب ذلك الحاجز الجليدي

بينهما ، وكأنه يعتذر عن فظاظته السابقة ، مما أشعرها

بارتياح غامر ، وهي تسأله :

ماذا ينبغي أن نفعل في رأيك ؟

استرخى في مقعده ، وهو يجيب :

- نحدد هوية مندوب المنظمة التجسسية الخاصة .

سألته في اهتمام :

- ثم ماذا ؟

أسبل جفنيه ، وابتسم متممًا :

- ثم يبدأ السباق الحقيقي .

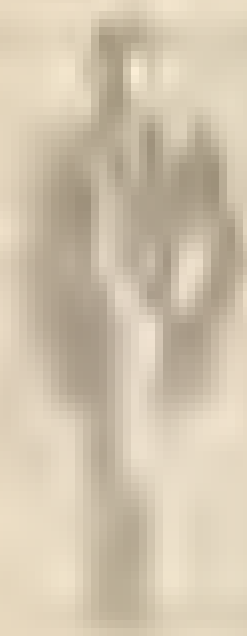
قالها دون أن يضيف حرفاً ..

ودون أن تلقى هي سؤالاً إضافياً ..

لقد أدركت أن القتال قد بدأ ..

القتال الحقيقي .

★ ★ ★



٤ - المندوب ..

لم يكد رنين الهاتف ينطلق ، فى حجرة (ريتشارد كيلرمان) ، حتى النقط سماعته ، ووضعها على أذنه ، قائلاً فى برود :

- (كنوبى) ... من المتحدث ؟

أتاه صوت أكثر برودة ، يقول :

- أعتقد أن لدى شئنا تريدونه .

استرخى (كيلرمان) فى مقعده ، وهو يقول :

- أنا أيضاً أعقد هذا .. متى نلتقى لنتباحث فى هذا

الأمر ؟

أجاب صاحب الصوت التلجى :

- الآن يبدو وقتاً مناسباً .

التقى حاجبها (كيلرمان) ، وهو يقول :

- من أين تحدث بالضبط ؟

أجاب الرجل :

- ليس هذا من شأنك .. كل ما عليك هو أن تهبط إلى

يهو الاستقبال ، وهناك ستجد شخصاً ضخم الجثة ، على

نحو يجعله أشبه بالفوريلا ، تقدم نحوه ، وقل له : إنك

مستعد لمقابلة مستر (ستيفان) ، وهو سيكلمك بالباقي .

سأله (كيلرمان) فى اهتمام :

- والمفروض أنك مستر (ستيفان) هذا .. أليس

كذلك ؟

أجاب الرجل فى برود :

- أسرع يا مستر (كنوبى) .. لو انتظر الرجل لعشر

دقائق أخرى ، سينصرف فوراً ، وستفشل الصفقة تماماً .

قائلاً ، وأنهى المحادثة فى حركة مباغتة ، جعلت

(كيلرمان) يعقد حاجبيه فى حدة ، ويقول :

- يا للوغد !

ثم نهض يلتفت معطفه ، ولبس مسدسه فى حزامه ، ثم

التفت مسدساً آخر صغير الحجم ، مصنوعاً من الألياف

الزجاجية ، ووضعها فى حزامه من الخلف ، وهو يبتسم فى

سخرية ، متمتماً :

- أعتقد أن هذه الصفقة ستحمل إليهم الكثير من

المفاجآت حتماً .

وتحرك بسرعة ، ليؤدى بعض الأعمال الهامة لتأمين

المكان ، ثم هبط إلى يهو الاستقبال ، ودارت عيناه فى

المكان ، قبل أن يتوقف بصره عند الرجل المنشود ..

كان من المستحيل أن تخطئه العين ، حتى ولو وقف
وسط شارع شديد الازدحام ، فقد كان هائل الحجم بالفعل ،
أشبه بغوريلا عملاقة ، يتجاوز طوله المترين ، ويبلغ
محيط صدره ما يقل عن هذا بثلاثين أو أربعين سنتيمترا ..
أما معطف الفراء الذي يرتديه ، فقد جعله أقرب إلى
الدب منه إلى الغوريلا ، لولا رأسه الأصلع المكشوف ،
وشاربته الضخم ، الذي يملأ معظم وجهه ..
وفي خطوات حاسمة ، اتجه (كيلرمان) نحو العملاق ،
وقال :

- أنا مستعد لمقابلة مستر (ستيفان) .
مال العملاق بعينه ، لينقى عليه نظرة متلخصة ، ثم
استدار قائلاً في غلظة :

- اتبعني .

تبعه (كيلرمان) في صمت عبر معمرات الفندق ،
والعملاق يقوده إلى المطابخ ، ويتجاوز به ححرات
التنظيف والبخار ، ثم يعبر معه الباب الخلفي للفندق ، إلى
شارع ضيق ، احتلته بالكامل سيارة ضخمة ، فتح العملاق
بابها الخلفي ، وأشار إلى (كيلرمان) في صمت ، فدلف
إليها ، ولم يكذب ، حتى أغلق العملاق بابها ، ثم قفز
في خفة لا تتناسب مع ضخامته ، واحتل مقعد القيادة كله ،
وانطلق بالسيارة ..

ولم تكد السيارة تتجاوز الشارع الضيق ، إلى الشارع
الرئيسي ، حتى غمغت (جيهان) داخل سيارتها
الرياضية ، التي تقف على مقربة :

- أنت مذهش يا سيادة العميد .. كيف توقعت أن اللقاء
لن يتم في الفندق ، وأنهم سيخرجون (كيلرمان) من
الباب الخلفي ؟!

أجابها (أدهم) في هدوء :

- مزيج من الحذر والاستنتاج ، واجترار الخبرات
السابقة .

سألته في اهتمام :

- هل تتبعهما إلى حيث تتم الصفقة ؟

فتح باب السيارة ، وهو يقول :

- بل ستتبعينهما وحدك ، فالصفقة لن تتم الآن .

وغادر السيارة ، مستطرذا بلهجة أمرية :

- احرصى على ألا يفلتا منك أبداً ، وألا يشعرأ بأنك

تراقبينهما ، وأخبريني أين استقر بهما المقام بالضبط .

سألته في قلق :

- وماذا عنك ؟

ابتسم ساخراً ، وهو يقول :

- فليهتم كل منا بدوره فحسب يا زميلتي العزيزة .

لم تدرك لماذا خلق قلبها في قوة ، عندما خاطبها بهذا القلب ، ولكنها وجدت نفسها تقول في حماس :
- أوامرك يا سيادة العميد .. أنت قائد .

ومنحته ابتسامة ساحرة ، ثم انطلقت خلف السيارة الضخمة ، فتبعها ببصره لحظات في صمت ، قبل أن يتمغم :

- أمل أن تؤدي دورها جيدًا .

فإنها ، واتجه في هدوء إلى القنصل ، واستقل مصعده في بساطة ، ليصعد إلى نفس الطابق ، الذي يضم جناح (كيلرمان) .

كانت هناك آلة تصوير للمراقبة في ركن العمر ، ولكنه تحرك في ثقة وهدوء ، وعلى نحو لا يمكن أن يثير أدنى شك ، وأولى ظهره للآلة ، وهو يتظاهر باستخدام مفتاح الجناح لفتحه ..

وفي سرعة ، جابت عيناه الباب ، بحثًا عن أية علامات تأمينية ، تركها (كيلرمان) خلفه ، و ...

وفجأة ، توقفت عيناه عند خيط دقيق للغاية ، ثبته (كيلرمان) بين ضلعتي الباب ، بحيث يتمزق تلقائيًا ، لو فتح أحدهم الباب عنوة ..

وفي هدوء ، عالج (أدهم) رتاج الباب ، ثم ضغط أحد

طرفي الخيط ، ودفع الباب في هدوء ، ودلف إلى الحجرة ، ثم رفع إبهامه عن الخيط ، الذي تعلّق من هذا الطرف ، وظلّ في موضعه ، في حين أغلق (أدهم) الباب خلفه في حرص ، ودارت عيناه في المكان ، تلحصانه بنظرة خبيرة مدربة ..

وفي المعتاد ، يحتاج هذا الأمر إلى إخصائيين ، يطلق عليهم اسم (فرقة التنظيف) ، لفحص الإجراءات التأمينية في المكان قبل تفتيشه ، وإعادتها إلى موضعها ، فور الانتهاء مما ينبغي عمله (*) ..
ولكن (أدهم) استثناء من كل قاعدة ..

لقد تلقى تدريبًا خاصًا على عملية التنظيف هذه ، قبل أن يتجاوز الخامسة والعشرين من العمر ، ومن سمات (أدهم) أنه يصقل دائمًا مواهبه ، ويواظب على التدريب على كل ما يتعلمه ، وما يكتسبه من خبرات ..

وهذا ما جعله خبيرًا في هذا المضمار ..
لقد التقطت عيناه انبعاثًا خفيفًا في طرف البساط الأنيق ، الذي يحتل المدخل ، فانحنى يرفع طرف البساط ، قبل أن يبتسم في سخرية ، مغفنا :
- كنت أتوقع هذه البراعة يا (كيلرمان) .

(*) حيلة .



كانت هناك قطعة صغيرة من البسكويت ، تستقر تحت

البساط ..

قطعة تكفي لضغط قدم بسيطة لسحقها ، والتدليل على
اقتحام متسلل إلى المكان ..

وفي بساطة ، تجاوز (أدهم) البساط كله ، وراح
يلحص المكان في سرعة ومهارة ، وعندما انتهى من
عمله ، تراجع في هدوء ، وغادر المكان ، ثم أغلق الباب
خلفه في إحكام ، وأعاد الخيط إلى موضعه ، و ...
حذار أن تهدر منك أية حركة مريبة ..

صنعت العبارة مسامعه بفتنة ، مع فوهة المسدس ، التي
انفرست في معطفه من الخلف ، على نحو أدهشه وأحذقه ،
وجعله يتساءل : كيف لم ينتبه إلى ذلك الشخص ، الذي
تسلل من خلفه هكذا ، ولكنه كتم كل هذا في أعماقه ، وهو
يقول :

- هل يمكنني أن أستدير ، أم أنك ستعتبر استدارتي
حركة مريبة ؟

أجابه الرجل في صرامة :

... استدر في بطء ، ويداك فوق رأسك .

استدار (أدهم) في بطء ، وتطلع إلى وجه محدثه في
اهتمام ..

كان شاباً مفتول العضلات ، أشقر الشعر ، أزرق العينين ، توحى ملامحه بأنه ينتمى إلى الجنس القوقازى ، الذى ينتشر فى شمال وشرق (اسيا) ..

وقدّر (أدهم) أنه روسى الجنسية ، قبل حتى أن يقول الشاب فى صرامة ، بلغته الفرنسية ، ذات اللكنة الشرقية : - أنت تعمل لحساب (كيلرمان) .. أليس كذلك ؟

أدار (أدهم) عينيه إلى نقطة ما خلف الشاب ، وكأنه يتطلع إلى شيء ما ، قبل أن يقول متظاهراً بالارتياح :

- بالطبع .. أنا أعمل لحساب مستر (كيلرمان) .
انعقد حاجبا الشاب ، وهو يتابع نظرة (أدهم) ، ثم وقع فى الفخ بسرعة ، فاستدار إلى الخلف متوتراً ، و ...

وكان هذا كل ما يحتاج إليه (أدهم) ..
لقد تحرك بسرعة البرق ، فأمسك معصم الروسى ، وأمال قوّه المسدس بعيداً ، ثم هوى على فك الشاب بلكمة كالقنبلة ، ارتد لها إلى الخلف فى عنف ، وارتطم بالجدار فى قوة ..

ولكن العجيب أنه لم يسقط ..
لقد احتقن وجهه بشدة ، واشتعلت شياطين الغضب كلها فى ملامحه ، وهو ينقض على (أدهم) ، ويكيل له لكمة قوية مباغتة ، أصابت فكه فى عنف ، ودفعته إلى الخلف ،

فاتحتى بتفادى الثانية فى سرعة ، وانقضّ بقبضته على معدة الروسى ، الذى أطلق شهقة غاضبة ، وانثنى إلى الأمام ، فعاجله (أدهم) بلكمة أخرى ، أعالته إلى وضعه الأول ، وهو يطنق سباً غاضباً ، أخرسه (أدهم) بقفزة رشيقة ، وركلة بالغة القوة ، فى أنف الروسى مباشرة .. كانت ضرباته أشبه بقنابل عنيفة ، تلقاها الشاب فى صلابة مذهشة ، وهو يهتف بالروسية :

- اللعنة ! .. اللعنة عليك !

ثم ألقي نفسه على (أدهم) ، وأحاط وسطه بذراعيه فى قوة ، وهو يندفع نحو النافذة الزجاجية الكبيرة ، فى نهاية الممر ..

وبكل قوته ، ركل (أدهم) الشاب فى ساقيه وفخذه ، وهو يقاتل للتملص من ذراعيه القويتين ..

ولكن الشاب انقضّ على النافذة بكل قوته ..
وفى نفس اللحظة التى تحطم فيها زجاج النافذة بدوى عنيف ، أفنت الشاب (أدهم) ، الذى وجد نفسه يندفع خارج الفندق ، ثم يهوى ..

ومن ارتفاع ستة طوابق ..

★ ★ ★

على الرغم من المناورات المعقدة ، التي قام بها العملاق ، واصلت (جيهان) تتبغه في مهارة ، حتى وصلت به السيارة الكبيرة إلى فيلا أنيقة ، عند أطراف المدينة ، استوقفه حراسها الثلاثة لحظات ، قبل أن يسمحوا له بالدخول ..

ووقفت (جيهان) بسيارتها ، على مسافة عشرة أمتار من الفيلا ، وغمغمت :

- أهى نهاية الرحلة ، أم أنكم تقومون بمناورة جديدة ؟
أطفأت أنوار السيارة كلها ، وجلست تراقب الفيلا لعشر دقائق كاملة ، دون أن يستجد جديد ، فسألت نفسها :
- ترى هل اقصررت أوامر (أدهم) على تتبعي للسيارة ، أم أنه يجب أن أبذل مزيداً من الجهد ، للتأكد من أن هذا هو المكان الصحيح ؟

كانت تشعر بالملل ، لجلوسها صامتة على هذا النحو ، لذا فقد هزت كتفيها ، وابتسمت لنفسها في سخرية ، معتقدة :

- المفروض أن عملنا لا يقتصر على طاعة الأوامر حرفياً .. لا بأس من جهد إضافي بلا أجر .

واستلّت مسدسها الصغير ، ثم غادرت السيارة في حذر ، واتجهت في خفة نحو الجدار الخلفي للفيلا ، وما إن

بلغته ، حتى التصقت به لحظة ، وهي تتنفس في سرعة وتوتر ، ثم تحركت بمحاذاته في خطوات سريعة ، وانحرفت معه إلى اليسار ، و ...

يا للشيطان ! .. من أنت ؟ .. !

فوجئت بنفسها وجهاً لوجه ، أمام حارس ضخيم قوى ، حدق في وجهها لحظة بدهشة ، وهو يهتف بعبارته ، ثم رفع فوهة مدفعه الآلى في وجهها ، و ...
وأطلقت النار ..

نعم .. هي التي أطلقت النار في سرعة ، ودون تردد ، قبل أن يضغط هو زناد مدفعه بجزء من الثانية ..
ووسط الليل الساكن الهادئ ، في تلك البقعة ، بدا دوى الرصاصة أشبه بانفجار قنبلة ، رددته المنطقة كلها ، مع صرخة الألم ، التي أطلقها الحارس ، قبل أن يسقط جثة هامدة ..

وفي ثانية واحدة ..

بل في أقل من الثانية الواحدة ، انقلب كل شيء رأساً على عقب ..

لقد أضيئت أنوار الفيلا كلها ، وارتفع نباح كلاب متوحشة ، ووقع أقدام تعدو في كل مكان ، وصوت يهتف بالفرنسية :

- محاولة اقتحام .. إجراءات الأمن القصوى .

ومع كل هذا ، لم يكن بإمكان (جيهان) أن تبقى ..
لقد انطلقت تجرى بكل سرعتها ، عائدة إلى سيارتها ،
وهي تهتف :

- أنت تستحقين هذا .. كان ينبغي أن تطيعي الأوامر
فحسب .

سمعت من خلفها أصواتا تهتف بالفرنسية :

- ها هي ذى (إنها امرأة .. الحقوا بها .

وارتفع نباح الكلاب أكثر وضوحا ووحشية ، مما جعلها
تضاعف من سرعتها على نحو غريزي ، في نفس الوقت
الذى انطلقت فيه رصاصات صامتة ، من مسدسات مزودة
بكواتم للصوت ، شعرت بها ترتطم بالأرض خلف قدميها ،
فوثبت نحو السيارة ، هاتفة :

- آه .. هذا ما كان ينبغي .

ألقت نفسها داخل السيارة ، وأدارت محركها في
سرعة ، في نفس اللحظة التى بلغت فيها الكلاب
الشرسة ، ورأت أحدهما يثب على زجاجها الأمامي ،
وأنبابه تكاد تخترقه ، من شدة قوتها وحميتها ، فهتفت
وهي تتطلق بالسيارة :

- ابتعد أيها الوغد .

تشبّث الكلب بالسيارة بضع لحظات ، في نفس الوقت

الذى اخترقت فيه عدة رصاصات زجاجها الخلفي ، ومزقت
إحداها على قيد سنتيمترات من رأس (جيهان) ، التى
مالت ، بالسيارة في عنف ، فألقت الكلب عن مقدمتها ،
وانطلقت محاولة الفرار ..

ومن خلفها ، انطلقت ثلاث سيارات قوية ..

وضففت (جيهان) دواسة الوقود بكل قوتها ،
مستعملة خفة وسرعة سيارتها الرياضية ، للفرار من
السيارات الثلاث ، وهتفت بتوتر شديد :

- ماذا فعلت بنفسك يا (جيهان) ؟ .. كان المفروض أن
تطيعي أوامر رئيسك ، بدلا من أن تتورطى على هذا
النحو .. أخشى ما أخشاه أن تكونى قد أفسدت الخطة كلها
بتسرعك وفضولك .

كانت تتطلق بسرعة مخيفة ، والسيارات الثلاث
تطاردها في اسنماتة ، ثم انحرفت مع مسار الطريق ،
و ... |

وفجأة ، وجدت أمامها تلك الحافلة الضخمة ، التى
توقفت على جانب الطريق ، لتصلح إطارا تالفا ..
وصرخت (جيهان) ، وهى تضغط الفرامل في قوة ،
محاولة تفادى الاصطدام :

- رباه ! .. ألم يجدوا مكانا أفضل للتوقف ؟ !

كانت انحرافتها مباغته ، وضغطتها للفرامل قوية ، لذا
فقد فقدت السيارة طريقها ، واختل توازنها فى عنف ،
فوثبت على نحو مخيف ، ثم انقلبت ، وتدحرجت فى قوة ،
وانزلقت بسرعة مخيفة إلى الطريق العكسى ..
وفى اللحظة نفسها ، كنت هناك سيارة كبيرة تنطلق فى
الطريق المضاد ..

وفجأة ، وجدت سيارة (جيهان) تتزلق أمامها ..
ولم يكن هناك مفر من الارتطام ..
أبداً ..

★ ★ ★

هوى (أدهم) من ارتفاع ستة طوابق ، وحاول التشبث
بحاجز النافذة المفتلى بالجليد ، إلا أن يده انزلقت ، وتابع
جسده السقوط ، حتى ارتطم بمظلة واقية ، تمتد من شرفة
الطابق الثالث ، فتمزقت تحت ثقله ، وألقته خارجها ..
وفى هذه المرة ، قبضت أصابعه فى استماتة على
القماش الممزق ، إلا أنه انفصل عن إطاره ، فهوى
(أدهم) مرة ثانية ، ليصطدم بسقف المطعم المعلق ، فى
الطابق الثانى ..

وكان الارتطام عنيفاً بالسقف الخشبي ، إلا أن تشبث
(أدهم) لحزء من الثانية ، بالقماش الممزق فى الطابق

الثالث ، كان قد خفف من سرعته كثيراً ، فأصابه الارتطام
بآلام شديدة ، فى كل عظمة من عظام جسده ، إلا أنه لم
يحطمها ، أو يقتله ..

وعلى الرغم من آلامه ، هب (أدهم) واقفاً على
قدميه ، ولم يكدر يرفع عينيه إلى أعلى ، حتى شاهد
الروسى ينحنى خارج النافذة ، ويصوب إليه مسدسه
المزود بكاتم للصوت ، و ...
ويضغط الزناد ..

كان صوت الرصاصات أشبه بفحيح ثعبان عجوز ، إلا
أن (أدهم) لم ينتظر ليسمعه ، فلم يكدر يلمح المسدس
المصوب إليه ، حتى وثب من السفلى الخشبي إلى الإطار
الذى يحمل اسم الفندق ..

وفى نفس اللحظة ، التى أصابت فيها الرصاصات
السقف ، كان (أدهم) يتعلق بالحروف الكبيرة ، أمام
أعين كل رواد المطعم ..

ثم اكتفى بيد واحدة ، تتشبث بالحروف الضخمة ، وهو
يستل مسدسه ، ويصوبه إلى الجدار الزجاجى للمطعم ،
المطل على البحيرة ..

وانطلقت صرخات رواد المطعم ، وانطلقوا يعدون
مبتعدين ، و (أدهم) يهتف :

- هيا .. ابتعدوا بأقصى سرعة ، فجمدى وحده لن يكفى لاختراق هذا الجدار السميك .

كان الروسى يصوب إليه مسدسه ثانية ، وهو يقسم ألا يخطئ إصابة هدفه هذه المرة ، عندما أطلق (أدهم) رصاصات مسدسه على الجدار الزجاجى السميك ، قبل أن يثب نحوه بكل قوته ..

وانطلقت رصاصات الروسى ، لتخطئ كلها هدفها ، الذى اخترق الجدار الزجاجى فى عنف ، وسقط داخل المطعم .

وقبل أن ينهض من مكانه ، كان رجال أمن الفندق يندفعون نحوه ، ويصوبون إليه مسدساتهم ، وأحدهم يصرخ متوتراً :

- توقف يا هذا ، وإلا أطلقنا النار .

دار (أدهم) حول نفسه بسرعة مذهشة ، وهو يهتف :

- أتقصد هكذا .

قالها ، وهو يطلق الرصاصات المتبقية فى مسدسه ، على مسدسات رجال الأمن الأربعة .. وكانت مفاجأة مذهشة للجميع ..

لقد أطاحت رصاصاته بمسدسات الرجال الأربعة ، فى آن واحد تقريباً ، دون أن تصيب أحدهم بخدش واحد ..

والعجيب أن هذا القى الرعب فى نفوس الجميع ، بأكثر مما لو نسف (أدهم) رءوس الرجال الأربعة بالفعل .. وفى صرامة ، أشار (أدهم) بمسدسه الفارغ إلى رجال الأمن ، قائلاً :

- ابتعدوا .

كانت تلك النبذة الأمرة فى صوته ، تكفى لتجميد الدماء فى عروق أشجع الرجال ، فتراجع رجال الأمن الأربعة بحركة سريعة ، وأفسحوا له الطريق ، وكأنهم لا يجرءون على عصيان أمره ، فى حين أعاد هو مسدسه إلى جيبه ، وتقدم نحو باب المطعم فى خطوات ثابتة ، و ...

وفجأة ، ظهر الروسى الشاب ..

لم يظهر بهدوء ، وإنما اقتحم المكان فى عنف كثور هائج ، وانقضَّ على (أدهم) مباشرة ، وأحاط وسطه بذراعيه ، واندفع به نحو الجدار المحطم ، وهو يطلق صيحة مخيفة ..

ولكن (أدهم) لم يكن مستعداً لتكرار الموقف ..

لذا فقد انثنى بحركة مباغتة ، وأجبر الروسى على السقوط معه أرضاً ، ثم دفع ركبته فى معدته ، واستنفر كل قوته ليلقى الروسى خلفه ، ثم قفز واقفاً على قدميه ، واستدار يواجهه ..

ومع استدارته ، استرد رجال الأمن الأربعة بعض شجاعتهم ، وانقضوا عليه من الخلف ..

وبغته ، وجد (أدهم) من يمسك تراسيه ويحيط وسطه وعنقه من الخلف ، في نفس اللحظة التي ينقض فيها الروسي عليه ، وهو يستل مسدسه ، ويطلق صرخة وحشية مخيفة ..

ومع هذا الهجوم المزدوج العنيف ، تضاعلت فرصة نجاة (أدهم) إلى الصفر ..
أو ما تحت الصفر .



٥ - الفصل ..

لم يكد سائق سيارة النقل الكبيرة يلمح تلك السيارة الرياضية الصغيرة ، التي انزلت بغته ، متجاوزة الحد الفاصل بين الطريقين ، حتى انحرف بسيارته في عنف ، محاولاً تفادي الارتطام ، وكاد ينجح في هذا بالفعل ..
ولكن السيارة الرياضية توقفت بغته ، في عرض الطريق ..

وبسرعة مذهشة ، انحرف السائق ثانية إلى اليسار ، فارتطم بطرف السيارة ، التي قفزت مرة ثانية إلى الأمام ، ودارت حول نفسها في عنف ، قبل أن تسقط خارج الطريق ، وتتدحرج وسط الأشجار الطويلة ، ثم ترتطم بإحداها ، وتتوقف تماماً ..

ومن بعيد ، لمحت السيارات الثلاث القوية ما حدث ، فأنحرفت إلى الطريق العكسي ، وعبرته خلف سيارة النقل ، وما إن توقفت عند حافة الطريق ، حتى هتف أحد ركبائها :

- خزان الوقود مشتعل .. ستفجر السيارة !

ثم يكذب ينطقها ، حتى دوى الانفجار ..
 انفجرت السيارة الرياضية الصغيرة ، واشتعلت فيها
 النيران ، وسائق النقل يهتف مذعوراً :
 - لم أفعل شيئاً .. لم يكن بيدي أن أفعل شيئاً .. تلك
 السيارة قفزت إلى الطريق بغتة ، و ...
 قاطعه أحد ركاب السيارات الثلاث في صرامة :
 - انصرف يا رجل .. لا شأن لك بهذا .
 قال سائق النقل في توتر :
 - ولكن الشرطة ، والتحقيقات ، و ...
 قاطعه في صرامة ، وهو يبرز مسدسه :
 - قلت : انصرف .
 سحب وجه السائق ، وتراجع مغمغماً :
 - لا بأس يا سيدي .. لا بأس .. سأنصرف .
 وقفز إلى سيارته مذعوراً ، وانطلق بها مبتعداً ، وكأنما
 تطارده شياطين الأرض كلها ..
 أما هؤلاء الرجال ، فقد وقفوا يراقبون السيارة
 المشتعلة لحظات ، ثم قال أحدهم في تردد :
 - أعتقد أنها احترقت مع السيارة ؟
 هز زميله كتفيه ، وغمغم :
 - لا يمكن أن تكون قد نجت .. لقد رأيت بنفسك
 ما حدث ..

أوما برأسه متلهماً ، وهو يغمغم :
 - نعم .. لقد رأيت ما حدث .
 وقفوا بضع لحظات أخرى في صمت ، ثم عادوا إلى
 سياراتهم ، وانطلقوا عاندين إلى الليل ، تاركين السيارة
 الرياضية الصغيرة خلفهم تحترق ..
 وتحترق ..
 وتحترق ..

★ ★ ★

أكثر ما يفضيه (أدهم) ، هو الغدر والخداع ..
 أكثر ما يكرهه هو أن يهاجمه خصمه من الخلف ..
 إنه لا يهاجم خصمه هكذا قط ..
 لا بضرب ضربته إلا في المواجهة ..
 ولكن من المستحيل أن يواجه المرء دائما خصوماً
 شرفاء ..
 لقد هاجمه رجال أمن الفندق من الخلف غيلة ، فأمسك
 اثنان منهما ذراعيه ، وأحاط الثالث وسطه بمساعديه ، في
 حين قبض الرابع على مؤخرة عنقه في قوة ..
 ولم يدر أحدهم أنهم تعاونوا دون قصد ، لجعله هدفاً
 سهلاً لخصمه الروسي ، الذي صوب إليه مسدسه ، وهو
 يصرخ بالروسية :
 - خصرت يا رجل .

لم يكذب بتم عبارته ، حتى اعتمد (أدهم) على الرجلين اللذين يمسكان ذراعيه ، ووثب بقدميه في أن واحد ، فأطاحت اليسرى بالمسدس من يد الروسي ، وركلته اليمنى في أنفه مباشرة ..

وعندما تراجع الروسي ، مع عنف الركلة ، هبط (أدهم) على الأرض بقدميه ، ثم جذب ذراعه اليمنى إلى الأمام بكل قوته ، ومعها رجل الأمن المتعلق بها ، وغرس ركبته في معدته بكل قوته ، فتأوه رجل الأمن ، وانحنى ، وهو يفلت ذراع (أدهم) اليمنى ، فانطلقت قبضته تحطم فك الرجل ، ثم أكملت طريقها لتدور حول كتفه ، وتلطم ذلك الذي يقبض على مؤخرة عنقه في أذنه مباشرة ..

وصرخ الرجل ، وهو يتراجع في ألم ، ممسكا أذنه المصابة ، في حين دارت قبضة (أدهم) اليمنى حول عنقه ، وهو يدفع رجل الأمن الممسك بذراعه اليسرى إلى الأمام ..

والتفت قبضة (أدهم) بفك الشرطي في صوت مخيف ، أشبه بفرقة عظام تتحطم ، قبل أن يسقط رجل الأمن الثالث فاقد الوعي ..

وفي تلك اللحظة ، صاح الروسي :

- لن يمكنك أن تربح كل شيء .

قالها ، وهو ينقض على (أدهم) ، ويكيل له لكمة كالقنبلة ، أمال (أدهم) رأسه في مرونة وسرعة مدهشتين لتلافيها ، فاستقرت على أنف الشرطي الممسك به من الخلف ، وحطمت بصوت مسموع ، وأطاحت بالشرطي نفسه في عنف ، فانفلت منه (أدهم) ، واستقبل لكمة الروسي التالية على ساعده ، قائلا له بالروسية : - ألا تجيد شيئا سوى توجيه الضربات أيها الرفيق ؟

ثم هوى على فكه بلكمة ساحقة ، مستطرذا :

- إنك حتى لا تفعل هذا بأسلوب سليم .

كانت اللكمة من القوة ، بحيث تكفى لتحطيم فك ثور قوى ، ولكن العجيب أن الروسي اكتفى بصرخة ألم صاخطة ، ثم انقض على (أدهم) وأمسكه من وسطه ، وحمله إلى أعلى ، واندفع به نحو الباب ، وهو يطلق صرخة مخيفة :

وعبر الاثنان الباب في مشهد رهيب ، أثار فزع الجميع ، و (أدهم) يكيل اللكمات للشاب ، هاتفا :

- بمن صنعوك يا هذا ؟! ألا تشعر بالألم قط ؟! ..

فقد الشاب توازنه بغتة ، عندما ارتطم بحاجز السلم ، مع الضربة التي أصابه بها (أدهم) بين عينيه ، فسقطا معا على درجات السلم ، وراحا يتكحرجان فوقها في

عنف ، عبر طابقين كاملين ، حتى استقرأ فوق درجات سلم الطابق الأول .

كل هذا دون أن يفلت الروسي (أدهم) لحظة واحدة ، فاستجمع هذا الأخير قوته كلها في قبضتيه ، وهوى بهما على مؤخرة عنق الشاب ، هاتفا :

- حتى الثيران لها نقاط ضعف .

أطلق الروسي خوارا جعله أشبه بالثور بالفعل ، وجسده يتهالك فوق السلم .

وفي نفس اللحظة ، التي نهض فيها (أدهم) واقفا ، ارتفع صوت موظف استقبال الفندق ، وهو يصيح في هلع :

- أسرعوا . لقد رأينا المشهد على شاشة المراقبة ، في الطابق السادس ، ولكننا لم نتصور أبدا أن تتطور الأمور إلى هذا الحد المخيف .. أسرعوا بالله عليكم .

استدار (أدهم) يتطلع إلى رجال الشرطة السويسرية ، الذين يصعدون في درجات السلم نحوه على عجل ، وأحدهم يشير إليه بمسدسه ، هاتفا :

- توقف يا رجل .. إنما نلقى القبض عليك باسم القانون . لم يكن (أدهم) مستعدا لإضاعة الوقت في تحقيقات الشرطة ، أو استجوابات القضاء ، لذا فقد وثب من الطابق الأول إلى الأرض ، هاتفا :

- فيما بعد .

صاح رجل الشرطة في ذهول :

- رباه !.. لماذا يفعل هذا ؟

أما (أدهم) ، فلم يكد بهبط على قدميه ، حتى انطلق يعدو بكل قوته ، متفاديا المدخل الرئيسي للفندق ، حيث تقف سيارة الشرطة ، وعبر الممرات الخلفية ، ورجال الشرطة يندفعون خلفه ، ويرتطمون بالأواني وأدوات التنظيف ، في قطاع الخدمات ، في حين يدور (أدهم) حولها في براعة ، أو يقفز فوقها في خفة ، حتى بلغ المخرج الخلفي للفندق ، ولكنه لم يكد بعبءه بقفزة مرنة ، حتى سمع صوتا مألوفا ، يقول بالروسية :

- كنت أعلم أنك ستخرج من هنا .

وقبل أن يلتفت إلى مصدر الصوت ، هوت ضربة عنيفة على مؤخرة رأسه ، و ...

وفقد وعيه على الفور ..

★ ★ ★

أشعل رجل تحيل بالغ الطول سيجاره في هدوء ، ونظت مخافته في عنف ، قبل أن يلتفت إلى (كيلرمان) ، قائلا :

- إنه قصور شديد يا مستر (كنوبي) . من الواضح أن تلك الشقراء كانت تتعقبك إلى هنا .

ابتسم (كيلرمان) في سخرية ، وهو يقول :

- لو أنه هناك قصور ، فهو يعود إليكم يا مستر (ستيفان)
- أو أيًا كان اسمك - فقد كنت أركب سيارتكم ، وأتبع تعليماتكم ، و ...

قاطعه (ستيفان) بإشارة من يده ، قائلاً :

- يبدو أنك لم تفهمنى جيدًا يا مستر (كنوبى) .. كنت أقصد أنه قصور شديد فى كفاءة عملانكم ، الذين لم ينجحوا فى إخفاء أنفسهم ، عندما تعقبوك إلى هنا .

اتعقد حاجبا (كيلرمان) فى شدة ، وهو يقول محتدًا :
- عملاؤنا ؟! لا يوجد هنا أى عملاء سواى يا مستر (ستيفان) .. لقد حضرت وحدى ، طبقا لاتفاقنا .

ابتسم (ستيفان) فى سخرية خبيثة ، وهو يقول :
- ومن قال أنك تتبع تعليماتنا دائما يا مستر (كنوبى) ؟! ألم يكن من المفروض أن نلتقى بلا أسلحة ؟
أجابه (كيلرمان) فى توتر :

- إنكم تضعون بوابة أمن عند مدخل الفيلا ، ولقد سلمت سلاحى ، وعبرتها ، ولم تتطلق إشارتها .

نفت (ستيفان) دخان سيجارته ، وهو يقول :
- هذا لأن المسدس الآخر ، الذى تخفيه فى حزامك من الخلف ، مصنوع من الألياف الزجاجية ، وليس من المعدن .

صمت (كيلرمان) لحظة ، صوب خلالها ثلاثة من الرجال مسدساتهم إلى رأسه ، قبل أن يلتقط المسدس الآخر ، ويقدمه لأحدهم ، قائلاً :

- فى عملنا ، لا ينبغي أن تمنح ثقتك كاملة .

ابتسم (ستيفان) فى ظفر ، قائلاً :
- بالطبع ، والسبب نفسه نستخدم جهازا خفيا للأشعة السينية ، لكشف كل ما يخفيه الزائر عن بوابة الأمن التقليدية .

تراجع (كيلرمان) فى مقعده ، قائلاً :

- لقد صنعتم من هذه الفيلا قلعة حصينة .

هز (ستيفان) كتفيه ، وهو يقول :

- هذا يشعرك بالمزيد من الأمان .. أليس كذلك ؟

مط (كيلرمان) شفطيه ، مغففا :

- ربما !

ثم اعتدل ، مستطرذا فى حسم :

- والآن أعتقد أنه من الأفضل ألا نضيع مزيدا من الوقت .. أين تلك الأسطوانة المدمجة ؟

رفع (ستيفان) حاجبيه فى دهشة مصطنعة ، قبل أن

يقول :

- بهذه السرعة ؟

أشار (كيلرمان) بيده ، مجيباً :

- لا داعي للانتظار يا مستر (ستيفان) .. أنتم تظنون أن تلك الشقراء تبعثني إلى هنا ، وأنها واحدة من عميلاتنا ، وأنا أصر على أنها ليست كذلك ، وحتى موتها لن يزيل الشك والقلق في نفسي ، فكونها لا تعمل لحسابنا ، يعني أنها تتجسس علينا ، وهذا أكثر خطورة .

ابتسم (ستيفان) ، مكملًا :

- لذا فأفضل وسيلة هي إنهاء الصفقة ، والحصول على الأسطوانة المدمجة ، فنتهي العملية ، وبذهب احتمال الفشل .
لوح (كيلرمان) بيده ، قائلاً في صرامة :

- عندما يتعلق الأمر بنا ، لا يوجد احتمال للفشل يا مستر (ستيفان) ، كل ما في الأمر أنني ، فور حصولي على الأسطوانة ، سأستخدم خطأ هاتفياً سريعاً ، لنقلها إلى كمبيوتر متأهب . لدينا هناك في (فرجينيا) (*) ، وبعدها يمكنني تحطيمها ، واعتبار أن المهمة قد انتهت بنجاح .

أوماً (ستيفان) برأسه إيجاباً ، وقال :

- كل هذا عظيم .. ما دمت ترغبون في إنهاء الأمر بهذه السرعة ، فأعقد أننا لن نتفاوض طويلاً بشأن الثمن الذي نطلبه .

(*) يقع المقر الرئيس للمخابرات المركزية الأمريكية (C. I. A) في ولاية (فرجينيا) .

التقى حاجبا (كيلرمان) ، وهو يسأل في حذر :

- وما الثمن الذي تطلبونه يا مستر (ستيفان) ؟
التقط (ستيفان) نفثاً عميقاً من سيجارته ، ونفثه في قوة ، قبل أن يتطلع إلى (كيلرمان) ، مجيباً في حزن :
- ملياراً .. إننا نطلب ملياراً من الدولارات بالتعام والكمال يا مستر (كنوبس) (*) .

وانسعت عينا (كيلرمان) في دهشة ، فقد كان هذا الرقم مفاجئاً ..
مفاجئاً بشدة ..

★ ★ ★

« ماذا هناك يا (أدم) ؟ .. »

تردد السؤال في عقله ، الذي يستعيد وعيه في ببطء ، وبدأ يشعر بحركة ما حوله ، وببرودة زائدة ، وهو يتابع حوار الصامت مع نفسه :

- كل شيء يبدو لك مرهقاً ، في الآونة الأخيرة .. لم تعد حيويته كما كانت .. لم تعد كما كنت .

كان يبدو وكأنه يعاتب نفسه ، على سقوطه في أيدي خصومه ، وهو يفتح عينيه في ببطء ، ويحدق في الشخص

(*) المليار : ألف مليون .



اتسم (أدهم) . وهو ينهض جالس . على طرف الفراش . وهل
 - يبدو أنك كدت تخاطبني بالرفيق (أدهم) .

الجالس إلى جواره في اهتمام ، ويدرك أنه مقيد المعصمين
 في إحكام ..

لم يستطع تمييزه في البداية ، مع ذلك الضباب
 الخفيف ، الذي يغطي بصره ، والذي لم يلبث أن انجاب في
 سرعة ، ليهتف :

- آه .. (كوروبوف) . صديقي القديم (سيرجي
 كوروبوف) .

نفث (كوروبوف) بخان سيجارته الروسية في قوة ،
 قبل أن يقول في برود :

- لست أذكر أبدا أننا كنا صديقين يا ر .. يا (أدهم) .
 ابتسم (أدهم) ، وهو ينهض جالسا ، على طرف
 الفراش ، وقال :

- يبدو أنك كدت تخاطبني بالرفيق (أدهم) .. ليس من
 السهل أن يتأقلم المرء على التغيير .. أليس كذلك ؟
 رمقه (كوروبوف) بنظرة باردة ، وهو يقول :

- ربما .

هم (أدهم) بالذهوض ، فهب شخص ما من منطقة
 ظل ، في ركن الحجرة ، وصوب إليه ممسكا كبيرا في
 صرامة شديدة ، فانفت إليه (أدهم) في هدوء ، وابتسم
 في سخرية ، قائلا :

- مرحى .. إنه ذلك الموسم ، الذي اشتبك معى فى الفندق .. قل لى يا هذا : كيف أطلقوا سراحك ؟
أجابه (كوربوف) :

- تدخلت سفارتنا بالطبع ، ف (شلينكو) يحمل جواز سفر دبلوماسيا .

قال (أدهم) متهكما :

- اسمه (شلينكو) إذن ! .. رائع .. الاسم والشكل يتفقان فى الغنظة والسخافة .. قل لى يا (كوربوف) : أين دربتم حائط الصند هذا ؟ .. أفى حظيرة ثيران ١٢

زمجر (شلينكو) فى غضب ، وجنب إبرة مسدسه الكبير ، ولكن (كوربوف) أشار إليه بالصمت ، وهو يقول :
- شيء مثل هذا ، لقد تم تدريب (شلينكو) ضمن برنامج خاص ، بحيث ترتفع درجة احتماله إلى الحد الأقصى .

قال (أدهم) ساخرا :

- أسلوب جيد ، بالنسبة لمن يتلقى الضربات .

انعقد حاجبا (كوربوف) ، وهو يسأله بغتة :

- ماذا كنت تفعل فى حجرة (كيلرمان) ؟

تظاهر (أدهم) بالدهشة ، وهو يقول :

- (كيلرمان) من ؟ .. لقد تسلمت إلى حجرة (برت

كنوبى) ، و ...

قاطعه (كوربوف) فى صرامة :
- لعبة طريقة يا سيد (أدهم) ، ولكننى أعتقد أن وقتنا لا يسمح لنا بإضاعة ساعة أو ساعتين فى مناورات مخيلة .

ثم مال نحوه ، مستطرذا :

- أنتم تعلمون بأمر الأسطوانة المدمجة .. أليس كذلك ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء مستفز :

- ربما .

ازداد انعقاد حاجبي (كوربوف) ، وهو يقول :

- يبدو أنك مازلت تصر على إضاعة الوقت يا مستر

(أدهم) .. فليكن .. لقد أدركنا مثلك خدعة (جبر) ،

واستخدمنا الكمبيوتر للبحث عن عميل آخر ، فعثرنا على

(كيلرمان) ، وذهبنا إليه ، وبدلاً من أن نجده ، وقعنا

على صيد ثمين مثلك .

وتألفت عباء الضيقتان ، وهو يضيف :

- فماذا تفعل ، لو أنك فى موضعنا ؟

أجابه (أدهم) فى هدوء :

- أواصل البحث عن (كيلرمان) .

لوح (كوربوف) بسنابته أمام وجهه فى بظء ، قبل أن

يقول :

- خطأ .. (كيلرمان) سيعود إلى حجرته بالفندق ،
وسيتولى (إيفان) و (أنستازيا) أمره ، أما الصيد
التمين ، فلا يمكننا إضاعة فرصة نادرة للتخلص منه .
رفع (أدهم) حاجبيه ، في دهشة مصطنعة ، وهو يقول
ساخرًا :

- هل أخيفكم إلى هذا الحد يا عزيزي (كوربوف) ؟
مط الروسى شفتيه ، وهو يجيب :

- لا يمكننا إنكار خطورتك يا سيد (أدهم) ، ولا مدى
ما تجشمننا إياه من متاعب ، كلما التقينا ، ومن المؤكد أن
وجودك بين صفوف المخابرات المصرية يمنحها نقطة
تفوق ، ويضع في طريقنا دوماً حجر عثرة ، ولا سبيل
لإنهاء هذه المشكلة المزدوجة ، إلا ...

بتر عبارته بفتة ، وتراجع في مقعده ، ورمى (أدهم)
بنظرة باردة ، قبل أن يكمل في صرامة :

- إلا بالقضاء التام عليك .

تطلع (أدهم) إلى عينيه مباشرة ، وهو يقول :

- وبهذا تزحني عن طريقك ، وتتطلق الشيوعية من
عقالها ، لتسيطر مرة أخرى على شمال شرق (آسيا) .
بدت الحيرة لحظات على وجه (كوربوف) ، قبل أن
يستعيد صرامته ، ويشير إلى (شلينكو) ، قائلاً :

- نفذ .

زمجر (شلينكو) في جذل ، واندفع نحو (أدهم) ، و ...
ولجأة ، تحرك (أدهم) ..
كان معصماه مقيدان خلف ظهره ، ولكن هذا لم يمنعه
من القفز في مرونة ، وركل المسدس من يد (شلينكو) ،
ثم دار حول نفسه في سرعة مذهلة ، ووجه ركلة ثانية
قوية إلى صدر الروسى ، الذى ارتطم بالجدار ، ثم ارتد في
عنف ، لتستقبله ركلة ثالثة في أنفه مباشرة .
ولكن (كوربوف) أيضاً تحرك في سرعة ..
لقد انقضت على (أدهم) من الخلف ، وكبل ذراعيه
ووسطه ، وهو يهتف :

- إنه لك يا (شلينكو) .

كان الروسى الشاب قد تلقى من الركلات ما يكفى
لتحطيم رجل ناضج ، إلا أنه ، وعلى الرغم من هذا ، ظل
محتفظاً بوعيه ، وهو ينقض على ساقى (أدهم) ،
ويمسكهما في قوة ، ثم يقيد كاحليه بسلسلة معدنية
سميكة ، فهتف (أدهم) :

- يبدو أننى كنت على حق .. إنهم يدربونك في حظيرة
ثيران .

زمجر (شلينكو) ، وهو يلقى (أدهم) أرضاً في قسوة ، ثم
جنبه من السلسلة المعدنية في قسوة إلى خارج المكان ..

وهنا فقط ، انتبه (أدهم) إلى طبيعة المكان ..

إنه كوخ صيد بسيط ، وسط ثلوج الشتاء في (جنيف) ..
ولقد جذبه (شلينكو) خارجة لعنبرة أمتار ،
و (كوربوف) يتبعهما في هدوء ، حتى بلغوا فجوة
صناعية ، في سطح بحيرة متجمدة ، وهناك قال
(كوربوف) بهروده العجيب :

- لا تعتبره أمرا شخصيا يا سيد (أدهم) .. إنه عمل محض .
ثم أشار إلى (شلينكو) ، الذي ثبت كرة معدنية ثقيلة في
السلسلة ، التي تربط قدمي (أدهم) ، الذي قال ساخرًا :
- أعلم هذا يا عزيزي (كوربوف) ، أرجو أن تفكر أنت أيضا
هذا ، عندما أعود لأحطم أنفك .

ابتسم (كوربوف) في سخرية ، وأشار إلى (شلينكو) ،
الذي حمل (أدهم) في خفة مدهشة ، و ...
والقاء في الفجوة ..

ومع ارتطامه بالماء المتجمد ، انتفض جسد (أدهم) في قوة ،
وبدأ محاولاته للتخلص من القيود ، وهو يفوق إلى الأعماق ..
ويفوق ..

ويفوق ..

★ ★ ★

٦ - القرار ..

سرت موجة عنيفة من التوتر في جسد (كيلرمان) ، وهو
يقف أمام مدير أمن الفندق ، الذي بدا مضطربًا ، وهو يقول :
- لست أرى كيف أصف لك ما حدث يا مستر (كنوبي) ! ..
يبدو أن أحدهم حاول اقتحام حجرتك ، ودار شجار عنيف ،
بينه وبين رجل آخر .. والواقع أن كلمة عنيف هذه تبدو
متواضعة ، بالنسبة لما حدث يا مستر (كنوبي) ، فقد كان
قتالهما أشبه بمعركة زعامة ، بين اثنين من أسود الأدغال .
راح يشرح له ما حدث في ارتباك ، حتى بلغ تلك
اللحظة ، التي أطلق فيها (أدهم) النار ، وأطاح بمسدسات
رجال الأمن الأربعة ، فازداد انعقاد حاجبي (كيلرمان) في
شدة ، وهو يقول :

- هل اكتفى بإطلاق النار على المسدسات وحدها ؟

لوح مدير الأمن بكفه ، قائلاً في حيرة :

- نعم يا مستر (كنوبي) .. هذا ما حدث بالضبط ..

كان بإمكانه قتلهم جميعًا ، ولكنه اكتفى بالإطاحة
بمسدساتهم .. هل تصدق هذا ؟

لم يكن الرجل ينتظر جواباً ، فقد طرح سؤاله ، ثم
واصل روايته في ارتباك منفعّل ، في حين تفجّر عقل
(كيلرمان) بتساؤل عنيف ..

لماذا لم يقتل الرجال الأربعة ؟؟

القصة التي سمعها ، تشير إلى صراع بين اثنين من
الشقر ، أحدهما روسي ، وهو ذلك الذي ألقى القبض
عليه ، وتدخلت سفارته للإفراج عنه ..

ولكن ماذا عن الثاني ؟؟

ولم يكن الأمر بحاجة إلى تفكير عميق ..
رجل واحد فحسب ، في هذا العالم المعطد ، مازال
يحتفظ بفطرته الطبيعية ، ويرفض قتل البشر بلا مبرر ..
رجل يساوي وحده جيشاً كاملاً كما يؤكد ملفه ..

(أدهم صبري) ..

رجل المخابرات المصري ، الذي صار أشبه
بالأسطورة ، في عالم الغموض والأسرار ..

(أدهم صبري) ، الذي تتمنى نصف أجهزة المخابرات
في العالم تصفيته ، ويطمح النصف الآخر إلى ضمه إليه ..
وفي توتر ، قاطع (كيلرمان) مدير أمن الفندق ،
ليسأله :

- أنت واثق من أنه لم يقتحم الحجرة بالفعل ؟

أجابه الرجل مرتبكاً :

- من المؤسف أننا نكتفي بالمراقبة ، ولا نحفظ
بتسجيلات يا مستر (كنوبي) ، ولكن رجال الأمن يؤكدون
أنهم كانوا سينتبهون بالتأكيد ، لو جرت محاولة لاقتحام
حجرتك ، وصدقني يا مستر (كنوبي) .. رجالنا كلهم
يتميزون بكفاءة نادرة ، ولقد تحركوا فور حدوث
الاشتباك ، ولكن ..

قاطعه (كيلرمان) في صرامة :

- لا بأس .. لا بأس .. أنا أصدقك .

ثم اندفع إلى المصعد ، واستقله إلى الطابق السادس ،
وتوتره يتصاعد مع كل ثانية تمر ..

لم يعد لديه أدنى شك في أن هذا الرجل الثاني هو (أدهم
صبري) ..

وهذا يعني أن الأمر صار بالغ الحساسية والخطورة ..

وأن المصريين اقتحموا اللعبة ..

وكذلك الروس ..

بدت له المسافة أشبه بميل كامل ، قبل أن يتوقف به
المصعد في الطابق السادس ، فغادره في لهفة ، واتجه إلى
جناحه في خطوات واسعة سريعة ، ولم يكد يصل إليه ،
حتى انحنى يبحث عن تلك الخيط الدقيق ، بين ضلعتي

الباب ، وعندما عثر عليه في موضعه ، تنفس الصعداء ،
وفتح الباب في حرص ، وأغلقه خلفه في سرعة ، ثم رفع
طرف البساط ، وابتسم في ثقة ، عندما وجد قطعة
المسكويت الرقيقة سليمة ، واعتدل قائلاً :

- إذن فلم يجد زميلنا (أدهم) وقتاً للدخول .

ثم اتجه إلى دولا ب ملبسه ، والتقط حقيبته الصغيرة ،
وجذب جزءاً من إطارها الأثني ، ورفعها إلى شفتيه ، قائلاً :

- (جير) .. أنا (كيلرمان) .. هل تسمعني ؟

كان ذلك الشيء ، الذي يمسك به ، عبارة عن جهاز
اتصال بالغ الحساسية ، يتصل بالأقمار الصناعية مباشرة ،
وينقل حديثه إلى أية بقعة يشاء ، عبر مدى واسع للغاية ..

وفي مبنى السفارة الأمريكية في (برن) ، التقط (جير)
رسالته ، وسأله في لهجة :

- ماذا تم يا (كيلرمان) ؟

أجابه (كيلرمان) في حزم :

- ليست لدى أخبار سارة يا (جير) .. لقد اتصل بي
هؤلاء المجانين ، واصطحبوني إلى فيلا في الضواحي ،
وهناك التقيت برجل أطلق على نفسه اسم (ستيفان) ، قال
إنه مستعد لمنحنا تلك الأسطوانة المدمجة ، مقابل مليار
دولار .

صرخ (جير) :

- كم ١٢ .. إنه مجنون حتماً .. لقد رصدوا مائة مليون
دولار فحسب للعملية كلها ، بما فيها التكاليف والمكافآت ،
فكيف يطلب وحده مليون دولار ١٢

أجابه (كيلرمان) :

- انتظر يا رجل ، فليس هذا هو الجزء الأسوأ في
الأحداث .. لقد كشف الروس والمصريون أمرى ، ودار
بينهما قتال عنيف هنا ، منذ بضع ساعات .

هتف (جير) :

- ماذا ؟ .. هذا يجعل الأمر أكثر تعقيداً .

قال (كيلرمان) في صرامة :

- بل يجعله أشبه بالكارثة يا (جير) .. هل تعلم من
الذي أرسله المصريون للقيام بالمهمة ؟

ودون أن ينتظر جواباً لسؤاله ، أدنى شفتيه من جهاز
الاتصال ، مستطرداً بلهجة خاصة :

- (أدهم صبرى) .

انتفض جسد (جير) في عنف ، وكاد يقفز إلى الخلف ،
وكانما صعقه تيار كهربى قوى ، وانعقدت صرخة تحمل اسم
(أدهم) في حلقه ، فسهل ثلاث مرات متتالية في قوة ،
وكانما يلفظها مذعوراً ، قبل أن يجيب في صوت مبحوح :

- أنت على حق .. إنها كارثة .

أجابه (كيلرمان) في حزم :

لا يوجد سوى حل واحد لمثل هذا الموقف .
سأله (جبر) ، الذى لم يستعد جأشه بعد :
- وهو ؟

أجابه بصرعة :

- إنهاء العملية .

سأله فى شيء من العصبية :

- هل تدفع مليارا من الدولارات بهذه البساطة ؟

قال (كيلرمان) فى نهضة سريعة ، تحمل شيئا من الجذل :

- أو لحصل على الأسطوانة المدمجة بأقل التكاليف .

صمت (جبر) لحظة ، قبل أن يسأله متوترا :

- ما الذى ترمى إليه يا (كيلرمان) ؟

أجابه (كيلرمان) فى استمتاع واضح :

- عملية مباشرة يا رجل .. فريق من انتحاريينا يقتحم

تلك الفيلا اللعينة ، ويلقى القبض على (ستيفان) ، ونجبره

على منحنا تلك الأسطوانة المدمجة ، ثم نكافئه بعدها

برصاصة من الذهب الخالص ، فى منتصف جبهته .

صمت (جبر) طويلا هذه المرة ، حتى أن (كيلرمان)

غمغم فى لهفة :

- ما رأيك ؟

أجابه (جبر) فى خلوت :

- شن حرب صغيرة كهذه لا يصلح فيه قرارى وحدى

يا (كيلرمان) .. إنه يحتاج إلى قرار حاسم من هناك .. من
(واشنطن) .

وكان هذا يعنى ضرورة إجراء سلسلة من الاتصالات
السريعة ..

والحاسمة ..

★ ★ ★

كانت المياه باردة كالثلج ، و (أدهم) يفوص فى

أعماقها كالحجر ، مع تلك الكرة المعدنية ، التى تجذبه إلى

أسفل فى قوة ، عبر تسعة أمتار ، هى عمق البحيرة فى

تلك المنطقة ..

ولم يكد جسده يستقر فى القاع ، حتى انثنى جسده فى

مرونة مذهشة حتى كانت ركبته أن تلتصقا بصدرة ، ودفع

عجزه بين فراغ ذراعيه ، ثم بذل قصارى جهده ، ليحمل

تلك الكرة الثقيلة ، فى هذا الوضع الشاق ، ثم ألقاها بين

ذراعيه ، وجذبها إلى الأمام ، ليخلص قنميه من بينها ..

كانت مناورة أشبه بما يفعله رجال السيرك ، ولكن

جسده المرن وإرائته الفولاذية اشتركا لإنجاحها ، حتى

تصبح يده أمام جسده وليستا خلفه ..

ولم يكد بنجح فى هذا ، حتى انحنى بحل تلك السلسلة ،

التي تربط كاحليه ، والتي تتصل بها الكرة المعدنية

الثقيلة ..

وضاقت أنفاسه ، وناء صدره بحمله ، وهو يبذل ذلك
الجهد الشاق ، على عمق تسعة أمتار ، وسط مياه مثلجة
كهذه ..

ولكن تيارات الحمل الباردة ، كانت تجعل المياه في
القاع أقل برودة من مثيلتها عند السطح (*) ، مما يث في
جسده قليلا من النشاط ، الذي ساعده على أداء المهمة ..
وعندما تخلص من الكرة المعدنية ، كان صدره يكاد
ينهار ، مع احتياجه الشديد للأكسجين ..

وبكل قوته ، ضرب (أدوم) قاع البحيرة بقدميه ،
ودفع جسده إلى أعلى ، وهو يهتف في أعماقه :

- حاول أن تحتل يا (أدوم) .. ابدل قصارى جهدك ..
نصف دقيقة أخرى وتتجاوز هذه المحنة .

كان الضغط على أذنيه عنيقا ، ولم يكن من الممكن أن
يصعد إلى السطح دفعة واحدة ، وإلا تكونت فقاعات
النيتروجين (* *) في دمه ، وقتلته بلا رحمة (* * *) .

(*) حيلة علمية .

(* *) النيتروجين عنصر غازي ، لالون له ، ولا طعم ، ولا رائحة .
رمزه (N) ، يكون حوالي أربعة احماس الغلاف الجوي ، وهو لا يشتعل
ولا يساعد على الاشتعال ، حامل بوجها ما ، ولكنه يتواجد في كثير من
المركبات الفعالة . مثل حمض القهويك والشارك . ويحل في تركيب
الاحماض النووية

(* * *) حيلة علمية .

لذا فقد كان عليه ، على الرغم من ضيق صدره ، أن
يصعد إلى السطح على مراحل منتظمة ..

ولكن المشكلة أنه بشر ..

ولكل بشر احتياجاته ..

وقدراته ..

وعلى الرغم من أن (أدوم) قد تلقى تدريبات كثيرة
ومكثفة ، زادت من اتساع رنتيه ، وقدرتها على
الاستغناء عن الأكسجين طويلا ، إلا أن الفترة التي قضاها
تحت الماء ، والجهد الذي بذله ، جعل الهواء ينلد بسرعة
من صدره ، فبدأ يختنق ..

ويختنق ..

ويختنق ..

و ...

فجأة ، ارتطم رأسه بطبقة الجليد ، في قمة البحيرة ..
ومع الارتطام ، قفزت إلى رأسه فكرتان أساسيتان ..
الأولى أنه فقد الفجوة ، التي يمكنها أن تحمله إلى
الخارج ، وصار سجيناً بين مياه البحيرة المثلجة وسطحها
المتجمد ..

والثانية هي أنه توجد دائما طبقة من الهواء ، بين
السطح المتجمد والمياه (*) .

(*) حيلة علمية .

وكانت الفكرة الثانية هي أكثر ما يهمة ، في الوقت الحالي ..

وبسرعة ، أمال رأسه إلى أعلى ، ودفع أنفه وفمه خارج المياه المتلجة ، وشعر بالهواء البارد يتدفق عبرهما ، ويملاً رلتيه ، وينشر في صدره ألماً عجيبة ، لم تلبث أن تلاشت في سرعة ، عندما فقد ذلك الهواء برودته ، مع دفء الجسد الداخلي ، وتمدد ليملاً صدره ورلتيه ..

وخفق قلبه في قوة وارتياح ، وهو يحمد الله (سبحانه وتعالى) على أنه كائن من ذوى الدماء الحارة (*) ، وإلا لتجمد جسده بسرعة ، في هذه المياه المتلجة ..

ولكن مازالت أمامه مشكلة كبرى ..

مشكلة البحث عن مخرج ..

وبكل ما يملك من سرعة وقوة ، وفي محاولة لبث الدفء في جسده ، راح يسبح بمحاذاة السطح المتجمد ، بحثاً عن الفجوة التي أسقطوه منها إلى المياه المتلجة .. ولكن الأمر لم يكن سهلاً أو بسيطاً .

(*) الكائنات ذات الدماء الحارة - كل الثدييات تقريباً ، وعلى رأسها الإنسان ، من ذوى الدماء الحارة ، وهذا يعني أن درجة حرارة الدماء في عروقها تظل ثابتة ، مهما اختلفت درجات الحرارة خارج الجسم في صعود أو هبوط ، وهذا يمنحها قدرة أكبر على مواجهة فواع الطقس المختلفة والتكيف معها .

لقد تجمدت أطرافه ، وبدأ الدوار يكتنف رأسه ، وهو يبحث ، ويبحث ، ويبحث ..

نون جدوى ..

وفي أعماقه ، ارتفعت صرخة ..

قاوم يا (أدهم) ..

قاوم ..

لا تستسلم أبداً هذه المرة ..

لقد واجهت مواقف أشد عنفاً وصعوبة ..

وتجاوزتها ..

فلا تيلس هذه المرة ؟

قاوم ..

قاوم ، واحتمل ..

كان يحاول بث القوة في نفسه ، ومقاومة تلك الآلام الرهيبة ،

التي انتشرت في أطرافه ، مع البرودة الشديدة ، و ...

وفجأة ، لمع ضوء القمر ..

وخفق قلبه في عنف ..

هناك إذن فجوة ، تسأل عبرها ضوء القمر ..

كان الدوار قد سيطر على كيانه كله تقريباً ، وسنبه

القدر الأعظم من وعيه ، إلا أن رؤية ضوء القمر بثت شيئاً

من الحماس في عروقه ، فدفع جسده إلى الأمام ، وراح

يقترّب من تلك الفجوة ..



والحداد يرون عبر حجرة الشفاف ، فوهة مدفة مصوبة إليه

ويقترب ..

ويقترب ..

ومع كل خطوة يخطوها ، كان دواره يتضاعف ..

ووعيه يتراجع ..

ثم بلغ تلك البقعة ، التي يتسلل عبرها ضوء القمر ..

وانتفض قلبه بين ضلوعه ..

إنها لم تكن فحوة وسط السطح الجليدي كما توقع ، بل

كانت مجرد جزء شفاف من السطح المتجمد ..

جزء يشترك مع الأجزاء الأخرى في القوة والصلابة ..

وعلى الرغم من ثقته في قوة السطح المتجمد ، إلا أنه

راح بضربه بكل ما تبقى في يديه المقبضتين من قوة ،

و ...

وفجأة ، رأى ، عبر الجزء الشفاف ، فوهة بندقية

مصوبة إليه ..

ثم نوى صوت رصاصة ..

وأظلمت الدنيا دفعة واحدة ..

وانتهى كل شيء .

★ ★ ★

٧ - الثلوج ..

ارتسم قلق واضح على وجه مدير المخابرات المصرية ، وهو يقف في حجرته الواسعة ، ويتطلع عبر نافذتها الكبيرة إلى ساحة المبنى في شروق ..

لم يكن قد تلقى أية تقارير أو برقيات من (أدهم) أو (جيهان) ، منذ وصول الأول إلى (برن) ..

ولم يكن هذا أبدا بالأمر الطبيعي ..

بل كان يشير إلى وقوع شيء ما ..

شيء خطير على الأرجح ..

كان يسبح في أفكاره ، عندما ارتفع أزيز جهاز الاتصال ، مع صوت مدير مكتبه ، وهو يقول :

- برقية من مندوبنا في (برن) يا سيدي .

اندفع المدير إلى مكتبه ، وضغط زر جهاز الاتصال ، قائلاً :

- أدخلها على الفور .

لم يمض نصف الدقيقة ، حتى كانت البرقية في يد مدير المخابرات ، بعد ترجمة شفرتها ، وكانت تؤكد في وضوح

أن العميد (أدهم صبرى) ، والنقيب (جيهان فريد)

مفقودان ، منذ مساء اليوم السابق ..

وأن (أدهم) قد اختفى ، بعد معركة عنيفة في فندق (البحيرة) ..

و (جيهان) اختفت بعد انفجار سيارتها ..

ولم تكن هذه البرقية مطمئنة أبداً ..

بل كانت على العكس تماماً ، تثير قلقاً هائلاً من القلق ..

ومن الغموض ..

وفي توتر ، أزاح المدير البرقية جانباً ، وانخرط في تفكير عميق ، قبل أن يضغط زر جهاز الاتصال ، وهو

يقول لمدير مكتبه :

- أريد عقد اجتماع عاجل للمساعدين .

وقبل مرور نصف ساعة إضافية ، كان مساعدهو يلتفون حول مائدة الاجتماعات ، وهو يطرح عليهم الأمر ،

ثم يسألهم :

- والآن ما الذي تقترحونه ؟ .. هل ننتظر قليلاً ، حتى

يتضح الموقف ، أم نرسل بديلاً ؟ .. ولاحظوا أن الوقت

عامل بالغ الأهمية ، في مثل هذه العمليات ، فالأمريكيون

يتحركون دائماً بسرعة ، والسوفييت لن يضيعوا الوقت في

مهاترات ، وهذا يعني أننا قد خسرنا كل شيء ، لو أضعنا

الوقت بلا طائل .

قال أحد مساعديه في اهتمام :

- الواقع أنني أولى سيادة العميد (أدهم) ثقة كبيرة
يا سيدى ، وأعتبره دائماً الشخص المناسب ، لكل العمليات
البالغة الحساسية والخطورة ، ومن رأى أن نمنحه بضع
ساعات أخرى ، قبل أن يرسل بديلاً يربكه ، أو يتعارض
معه فى المنهج والأسلوب .

اندفع مساعد آخر ، يقول :

- خطأ .. من الخطأ أن نضيع الوقت ، من أجل احتمال
غير مضمون يا سيادة المدير .. إننا لا نعمل للحفاظ على
ماء وجه (أدهم صبرى) أو خلافه .. إننا نعمل فقط من
أجل (مصر) ، وهذا يعنى أنه لا ينبغي لنا أن نضيع لحظة
واحدة ، قد يستفيد منها الخصم ، ويربح المعركة كلها .
راحت المناقشة تدور حول الرايين ، والمدير يستمع
إلى الفريقين فى اهتمام صامت ، حتى يمكنه اتخاذ قرار
حاسم ..

ولكن فجأة ، ارتفع أزيز جهاز الاتصال مرة أخرى ، مع
صوت مدير المكتب ، وهو يقول :

- برقية عاجلة من (برن) يا سيادة المدير .
ضغط المدير زر الاتصال ، وهو يقول فى لهفة
واضحة ، لم يستطع أو يحاول إخطاءها :
- أحضرها على الفور .

ولم تكد البرقية تصل ، حتى طالعها المدير فى لهفة ،
ثم رفع عينيه إلى مساعديه ، الذين لاذوا بالصمت ،
وتطلّعوا إليه فى ترقب متسائل ، وقال :

- هذه البرقية أتت فى موعدنا بالضبط يا رجال ، فهى
تضع النفط على الحروف ، وتحسم مناقشتنا .
وناول البرقية لأقرب مساعديه ، مستطرذا :
- تحسمها تماماً .

وكان على حق ..

لقد حسمت البرقية المناقشة ..
تماماً ..

★ ★ ★

كانت الشمس تبدأ رحلة الصعود ، فى تلك المنطقة ،
عند أطراف (جنيف) ، عندما استعاد عقل (أدهم) وعيه
بغثة ، وفتح عينيه ، ليتطلع إلى ما حوله فى دهشة .
كان يرقد فوق فراش وثير ، ويتدثر بغطاء من الفراء
السميك ، داخل حجرة أنيقة ، فى واحد من أكواخ الصيد ،
والدهاء يحيط بالمكان كله ..

ونهض (أدهم) جالساً فى حيرة ، وهو يتساءل : من
أتى به إلى هذا المكان ؟ ..

ومتى ؟ ..

وكيف ؟ ..

لم يكن يرتدى ثيابه أو معطفه ، وإنما يرتدى ثوباً آخر ،
لشخص أقصر منه قامة ، وأكثر بدانة ..

وفي حذر ، نهض (أدهم) ، واتجه إلى باب الحجرة
على أطراف أصابعه ، وقبل أن يبلغه ، انفتح الباب فجأة ،
وظهر على بابه شخص قصير ، أقرب إلى البدانة ، هتف
في ارتياح :

- إذن فقد استعدت وعيك .

ثم أطلق ضحكة قصيرة ، مستطرداً :

- شكك يبدو مضحكاً في ثيابه ، ولكنها كانت كل
ما لدى ، فلو تركتك داخل ثيابك المبهتة ، في مثل هذا
الطقس ، لتجمدت فوق جسدك ، وأصابتك بأضرار بالغة .
تطع إليه (أدهم) في هدوء ، ثم ابتسم قائلاً بنفس
اللفة الفرنسية ، التي يتحدث بها الرجل :

- إذن فأنت الذي أنقذ حياتي .

ابتسم الرجل ، قائلاً :

- من حسن حظك .. لقد خرجت ليلاً ، لاصطياد ثعلب
من ثعلب الثلوج ، وسمعت طرقات على سطح البحيرة
المتجمد ، فاتجهت إليه في دهشة ، وفوجئت بك تحته ،
تقاتل لإتقاذ حياتك .

سأله (أدهم) في اهتمام :

- ولماذا أطلقت النار ؟

قلب الرجل كفيه ، وهو يقول مبتسماً :

- وهل تصوّرت أنه يمكنني أن أكسر سطح البحيرة
بقبضتي لأخرجك ؟

مدّ (أدهم) يده بصفاحه ، قائلاً في امتنان :

- إنني مدين لك بحياتي .

اتسعت ابتسامة الرجل ، وهو يقول :

- كم يسعدني أن أقوم بعمل بطولي ، ولو لمرة واحدة
في حياتي كلها .

ثم أشار إلى الخارج ، مستطرداً :

- وبالمناسبة ، لقد وضعت ثيابك على المجلف ، وهي جافة
تماماً الآن ، ويمكنك أن ترتديها . لقد أعددت طعام الإفطار .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

- كيف يمكنني أن أشكرك ؟

هز الرجل كتفيه ، قائلاً :

- ستجد وسيلة بالتأكيد .

ثم سأله في اهتمام :

- ولكن أخبرني .. لقد كنت مقيد المعصمين عندما
عثرت عليك .. أهذا عمل إحدى العصابات ؟

هزّ (أدهم) رأسه نفياً ، وهو يقول :

- بل يمكنك اعتباره نوعاً من أنواع المنافسة في
العمل .

لوح الرجل بكفه ، هاتفا :

- اه .. أعرف هذه المنافسات اللعينة ، وما يمكن أن تقوم إليه .. سأضطر لبيع هذا الكوخ ، في غضون الأيام القليلة القادمة بسببها .

ثم تنهد ، مستطرذا :

- ولكن دعنا من حديث الذكريات المؤسف هذا ، ولننتول طعام الإفطار أولا ، قبل أن أنقلك إلى المدينة ، نبلغ الشرطة عما فعلوه بك .. هيا .

تلتحج (أدهم) ، قائلا :

- معذرة ، يوسفى أننى مضطر لرفض دعوتك الكريمة يا سيد ..

أجابه الرجل فى سرعة :

- (جارفيلد) .. (بين جارفيلد) .. صاحب متجر (جارفيلد) للأغذية فى وسط المدينة ، والمصرف على الإفلاس .

أوما (أدهم) برأسه ، مغفقا :

- إنه لم يفلس بعد يا سيد (جارفيلد) .

هز (جارفيلد) رأسه ، قائلا وابتسامته لم تغارق شفثيه :

- إنها مسألة وقت يا رجل .

قال (أدهم) فى هدوء :

- من يدري ؟

ثم أضاف بسرعة :

- المهم أننى مضطر لرفض دعوتك ، والانتقال فورا إلى المدينة ، فقد فقدت وقتا ثمينيا يصعب تعويضه ، ولست أرغب فى إضاعة المزيد .

قال (جارفيلد) فى حماس :

- فليكن .. أستطيع تقدير هذا .. ارتد ملابسك ، وسأنقلك إلى حيث تريد فورا .

كان الرجل كريما وبسيطا بالفعل ، ولقد نقل (أدهم) إلى المدينة ، وهناك استقل (أدهم) واحدة من سيارات الأجرة ، متجها إلى المنزل الآمن ، الذى لم يكد يصل إليه ، حتى استقبله صوت غاضب يقول :

- أين كنت ؟ .. إتنى أبحت عنك طوال الوقت .

ارتفع حاجباه فى دهشة ، وهو يهتف :

- (جيهان) .

كانت شاحبة إلى حد مخيف ، وهناك خدش واضح فى جبهتها ، وآخر بطول ذراعها ، مما جعله يسألها ، وهو يغلق الباب خلفه :

- ماذا أصابك ؟

روت له كل ما حدث ، وتوقفت لحظة لتلتقط أنفاسها ،
ثم تابعت :

- كان الحادث كفيلاً بقتلى ، لولا تشبثى الشديد
بمقعدي ، وحزام الأمان الذى أحرص على استخدامه ، كلما
قادت سيارتى ، ونجاحى فى القفز خارج السيارة ، قبيل
انفجارها .. لقد اختفيت بين الأشجار ، وشاهدت هؤلاء
الأوغاد وهم يتناقشون بشأن موتى ، قبل عودتهم إلى
القبلا .

وضحكت وهى تمرر أصابعها فى شعرها ، مستطردة :
- أما الجزء الأصعب ، فكان عودتى إلى حيث تركتك ،
عند فندق (البحيرة) .. الناس هنا ليسوا على نفس
الدرجة من الشهامة ، التى عهدناها فى (مصر) .

هل كنت فيه ، قائلاً :

- عجباً .. تجربتى تؤكد العكس تماماً .

سألته فى فضول :

- كيف ؟

أشار بيده ، قائلاً :

- سأشرح لك فيما بعد .. المهم أننى أرسلت برقية
عاجلة إلى (القاهرة) ، لأطمئنهم على أننا مازلنا نواصل
المهمة .

أطلقت زفرة طويلة ، وتراجعت فى مقعدها ، قائلة :
- يدهشنى هذا ، فبعد ما حدث لى ، وما عرفته من
الفندق ، عما حدث لك هناك ، تصورت أن المهمة قد
فشلت !

أجابها فى حزم :

- ليس بعد .

ثم استطرد ، وقد أطلت من عينيه صرامة الدنيا كلها :
- لقد تعرفنى (سيرجى كوربوف) ، على الرغم من
تكررى هذه المرة ، ولكنه سيبتل بهذا أكبر فى المرات
القادمة .. هذا لأننى قررت تحويل مسار المهمة .

سألته فى قلق :

- وما الذى يعنيه هذا بالضبط ؟

التقى حاحباه فى صرامة مخيفة ، وهو يجيب :
- يعنى أننا سنحدث انقلاباً هذه المرة بإزميلتى
العزيزة .. سنقاتل بأسلوب جديد ، بقلب الأمور كلها رأساً
على عقب .

وكان قوله يعنى تحولاً جذرياً فى العملية كلها ..
تحول حاد ..
ومخيف ..

★ ★ ★

ابتسم (كيلرمان) ، وهو يستقبل (جبر) ، فى حجرته
بالفندق فى (جنيف) ، وأشار إليه بالجلوس ، قائلاً :
- من المؤكد أن حضورك إلى هنا شخصياً يعنى الكثير
يا (جبر) .

جلس (جبر) ، وأشعل سيجارته ، وهو يجيب :
- بالتاكيد .

ونفث دخان السيجارة فى عمق ، وهو يتطلع إلى
البحيرة الكبيرة ، عبر نافذة الفندق ، قبل أن يستطرد :
- (واشنطن) وافقت على عمليتك الانتحارية .
برقت عينا (كيلرمان) فى جذل ، وهو يقول :
- حلاً ؟

أوما (جبر) برأسه إيجاباً ، ونفث دخان سيجارته مرة
أخرى ، قائلاً :
- الجنرال بنفسه منحنى الموافقة ، ولكن بشروط
خاصة

تسلل القلق إلى وجه (كيلرمان) وصوته ، وهو يسأل :
- أية شروط ؟

أشار (جبر) بسبابته ، قائلاً :

- أولاً : لابد أن تجرى محاولة أخيرة ؛ للحصول على
تلك الأسطوانة المدمجة ، أو للتأكد من وجودها فى الفيلا
على الأقل ، قبل أن تتم العملية .

صأله (كيلرمان) فى اهتمام :
- وثانياً ؟

أجاب (جبر) :

- سيتم اختيار الفرقة الانتحارية من جنود ذوى أصول
روسية أو سوفيتية ، وسيتردون ويحملون ما يشير إلى
أنهم روسيون .

رفع (كيلرمان) حاجبيه ، قبل أن يهتف :

- يا للعبقرية !.. لقد أثبت الجنرال براعته بحق هذه
المرة ، فلو نجحت العملية ، سنفوز بالأسطوانة المدمجة ،
بتكاليف تقل خمسمائة مرة عن المبلغ الذى يطالب به هؤلاء
الأغبياء ، أما لو فشلت ، فسيلفون اللوم على الروس ،
مما يضاعف من فرصتنا فى الفوز بالصفقة ، فى حالة
استمرارنا فيها .. عبقرية فذة بالفعل .

وقهقه ضاحكاً ، ثم هز رأسه ، وأضاف فى حزم :
- فليكن يا (جبر) .. سأجرى المحاولة الأخيرة ، ثم
نقوم بالعمل الحقيقى ..

وفرقع سبابته وإبهامه ، مستطرداً فى جذل :
- ونضرب ضربتنا .

قالها ، وعيناه تبرقان فى ظفر ..
ظفر وحشى ..

★ ★ ★

ألقى (إيفان) نظرة على ساعة يده ، وهو يجلس داخل السيارة مع (كوربوف) ، وعاد يتطلع إلى الفندق ، قائلاً :
- (جير) هناك منذ نصف الساعة .

أجابه (كوربوف) فى برود :
- دعه يأخذ وقته كله .

ثم نفث دخان سيجارته ، ذات الرائحة النفاذة ، قبل أن يستطرد :

- ربما كان هذا آخر ما لديه .

ابتسم (إيفان) فى سخرية ، وهو يقول :
- مادمت تقوله ، فليس لدى أدنى شك فيه .
وهز رأسه فى تعطف ساخر ، مضيفاً :
- ممكن (جير) .

لم يكذب نطقها ، حتى اعتدل (كوربوف) ، وقال فى اهتمام واضح :
- ها هو ذا .

التقى حاجبا (إيفان) ، وهو يتطلع إلى (جير) ، الذى غادر الفندق ، واتجه نحو سيارة أمريكية سوداء فخرة ، تحمل على مقدمتها العلم الأمريكى ، فأصرع سائقها يفتح له الباب ، وغمغم (كوربوف) فى ازدياد :
- يا للمظاهر الرأسمالية العفنة !

ابتسم (إيفان) ، وهو يقول :
- حذار يا عزيزى (كوربوف) .. إنك تسرف فى انتقاد المظاهر الرأسمالية ، على الرغم من أن مجتمعنا يتجه إليها فى خطوات واسعة .

غمغم (كوربوف) :
- للأسف !

ارتفع حاجبا (إيفان) فى دهشة ، وهو يقول :
- هل تكره الرأسمالية إلى هذا الحد ؟

زمجر (كوربوف) ، قبل أن يقول فى صرامة :
- لسنا هنا بصدد الحديث عن النظم الاقتصادية ..
هنا .. اتبع هذه السيارة .

ابتسم (إيفان) فى شيء من السخرية ، وهو يقول :
- أمرك أيها الرئيس .

وانطلق فى هدوء خلف سيارة (جير) ، التى تحمل علامات ديبلوماسية ، والتى قطعت طريقها بمحاذاة البحيرة ، ثم انفصلت عنها فى طريق آخر ، يقود إلى خارج المدينة ، وفى داخلها غمغم (جير) :
- يبدو أن هناك سيارة تتبعنا .

أجابه سائق السيارة :

- هذا صحيح يا سيدى .. إنها تسير خلفنا ، منذ أن

غادرنا الفندق ، ولست أدري ما إذا كانت تتعطينا ، أم أنها
فى طريقها إلى خارج المدينة مثلنا .

صمت (جبر) لحظة ، ثم قال :

- هناك وسيلة بسيطة لاختبار هذا . توقف إلى جانب
الطريق .

أطاعه السائق ، وتوقف إلى جانب الطريق ، وتحفظت
يده الممسكة بمسدسه المعلق بحزامه ، فى حين تأكد
(جبر) من إحكام إغلاق أبواب السيارة المصطفة ..

ولكن (كوربوف) قال فى حزم :

- واصل طريقك يا (إلمان) .. لا تتوقف .

أطاعه (إلمان) دون مناقشة ، وتجاوز السيارة
الأمريكية فى سرعة ، ومضى فى طريقه ، فتنفس (جبر)
الصعداء ، وقال :

- إنها فى طريقها إلى خارج المدينة فحسب .

ثم أشار إلى السائق ، مستطرذا .

- هيا يا رجل انطلق بنا إلى (برن) .

قلها ، دون أن يدري أن ابتعاد السيارة المطاردة
لا يعنى أن الخطر قد زال ..
لا يعنى ذلك أبداً ..

★ ★ ★

لم يكد (جبر) ينصرف من حجرة (كيلرمان) ، حتى
أطلق هذا الأخير ضحكة مجلجلة ، وهتف ملوحاً بقبضته
فى الهواء :

- أخيراً .

كان يشعر بمسعادة جمّة ، لأن القيادة فى (واشنطن)
وافقت على قيامه بعملية محدودة ، مع تلك المنظمة
الغامضة ..

هذا لأن طبيعته تتناسب كثيراً مع اسمه (*) ..

إنه لا يؤمن أبداً بالمفاوضات والطرق السلمية ..

لا يؤمن سوى بالقتل ..

وحده سفك الدماء يحقق - فى رأيه - كل الانتصارات ..

ثم إنه يكره أن يتعامل معه شخص ما يتعال ..

أى شخص ..

وعندما تعامل معه (ستيفان) بهذا الأسلوب ، اتخذ

قراراً حاسماً بتأديبه ..

وكلمة التأديب لا تعنى عنده سوى إجراء واحد ..

أن يدمره تماماً ..

وبلا رحمة ..

(*) (كيلرمان) بالإنجليزية تعنى (الرجل القاتل) .

كان يتفاعل مع ذاته ، عندما ارتفعت فجأة دقات على باب حجرته ، فتحرك في انفعال عجيب ، وهو يقول في حدة :
- من بالباب ؟

أتاه صوت أنثوى رقيق ، يقول :

- خدمة الحجرات .. هل طلبت قنحا من الشاي ؟

انعقد حاحباه في دهشة ، وهو يقول :

- الشاي ؟! .. أنا لا أشرب الشاي مطلقا .

باغته صوت من خلفه ، يقول في هدوء ، وبلغة

أمريكية سليمة :

- أنا طلبته .

التفت (كيلرمان) في سرعة إلى مصدر الصوت ، ثم ارتد في عنف ، كمن أصابته صاعقة ، عندما وقع بصره على صاحبه ..

فأمامه ..

أمامه مباشرة ..

كان يجلس آخر شخص يمكنه أن يتوقع رؤيته ، في هذا الزمان وتلك المكان ..

(أدهم) ..

(أدهم صبرى) .

★ ★ ★



كان يجلس آخر شخص يمكنه أن يتوقع رؤيته ، في هذا الزمان

وذلك المكان .. (أدهم) ..

٨ - ضربة مزدوجة ..

الثف ثلاثة رجال حول مائدة صغيرة ، فى أحد أركان بهو فندق (البحيرة) ، يراقبون مداخل المكان فى اهتمام ، ثم لم يلبث أحدهم أن التقط جهازًا لاسلكيًا دقيقًا من جيبه ، وقال صرعه فى خفوت :

- كل شيء على ما يرام يا مستر (ستيفان) .. (كنوبى) لم يغادر حجرته حتى الآن ، ولكن أمريكيا آخر جاء لزيارته ، وغادر المكان منذ قليل .

أتاه صوت (ستيفان) ، وهو يقول فى صرامة :

- واصلوا المراقبة جيدًا .. أريد أن أعرف كل ما يفعله تلك الرجل ، قبل أن يعود لإتمام الصفقة .. هل تراقبون هاتف حجرته ؟

أجابه الرجل :

- بالتأكيد يا مستر (ستيفان) ، ولكنه لا يستخدمه مطلقًا .. يبدو أن لديه وسيلة اتصال أخرى .
سأله (ستيفان) :

- وماذا عن تلك الشفراء ، التى حاولت التسلل إلى الفيللا أمس ؟ .. إنهم لم يعثرو على جثتها فى السيارة المحترقة ، وهذا يعنى أنها لم تلق مصرعها .. حاولوا البحث عن أية معلومات بشأنها .

أجابه الرجل بصراحة :

- سنبدل قصارى جهدنا يا سيدي .. لقد حصلنا على رقم شاسية السيارة المحترقة ، وسنبعث عنه بالكمبيوتر ، ونستخرج كل بياناته .

هاتف (ستيفان) فى غضب :

- سيكون هذا أغبى إجراء عرفته ، فى حياتى كلها .. من المؤكد أنها لن تستخدم بياناتها الحقيقية ، مادامت محترقة كما نتوقع .
قال الرجل متوترًا :

- لقد وضعنا هذا فى اعتبارنا بالتأكيد يا مستر (ستيفان) ، ولهذا أحضرنا معنا (ماني) الحارس .. إنه الشخص الوحيد الذى راها ، والذي يمكنه صنع صورة واضحة لها ، بواسطة برنامج الكمبيوتر ، الذى يستخدمه (روميرو) .

قال (ستيفان) فى حدة :

- فليكن .. المهم أن تجدوا معلومات عنها بأسرع ما يمكنكم .

غمغم الرجل :

- سنبدل قصارى جهدنا يا مستر (ستيفان) .. سنبدل
قصارى جهدنا .

وانهى المحادثة ، وهو يتنفس الصعداء ، والتفت إلى
رفيقه ، قائلاً :

- هل سمعت يا (مانى) ؟ .. مهمتك ليست بسيرة .

أجابه الحارس المقتول العضلات فى حزم :

- اطمئن يا رجل . لقد رأيتها جيداً ، ولامحها
محفورة فى ذهنى ، ومنقوشة على تلافيف مخى .. أنت
تعرف ذاكرتى الشهيرة .

قال الرجل فى عصبية :

- المهم أن تفلح هذه الذاكرة الأسطورية فى رسم
صورة واضحة لها .

أشار (مانى) بهتبايته ، وهو يقول :

- قلت لك : اطمئن يا رجل .. يمكننى تعرفها ، حتى
ولو كانت وسط الد...

بتر عبارته بغنة ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهب
من مقعده ، وهو يحدق فى نقطة ما خارج الفندق ، فسأله
زميله فى توتر :

- ماذا أصابك يا رجل ؟ .. هل رأيت شيئا ؟

أشار (مانى) إلى موقف السيارات التابع للفندق ، وهو
يجيب فى انفعال جارف :

- إنها هى .

هب الأول من مقعده ، هائفاً :

- هى ؟ .. هل تقصد تلك الد...

قاطعه زميله فى حزم :

- روبدك يا رجل .. إنك تجذب إلينا أنظار الجميع فى

الفندق .. اهدأ واجلس .

ثم سأل (مانى) فى اهتمام :

- أين تلك الفتاة يا (مانى) ؟

أجابه (مانى) فى انفعال :

- هاهى ذى هناك .. فى السيارة الصفراء .. ثالث

سيارة إلى اليسار .

تطلع الثلاثة عبر الزجاج إلى (جيهان) ، التى جلست

خلف عجلة القيادة فى استرخاء ، تطالع واحدة من مجلات

الأزياء الحديثة ، وقال الأول :

- أنت واثق يا (مانى) ؟

- أجابه (مانى) فى حزم :

- لا يمكننى أن أخطئ تعرفها قط .

صمت ثلاثتهم بضع لحظات ، للسيطرة على أعصابهم ،

ثم عاد الأول يقول :

- حسن .. متفادى المكان فى هدوء ، حتى لا تلفت إلينا الانتباه ، ونذهب إليها ، ثم نجبرها على المضى معنا إلى الفيلا ، حتى يستجوبها مستر (ستيفان) بنفسه .

سأله (مانى) فى اهتمام :

- وماذا لو قاومت فى شراسة ، كما فعلت أمس ؟

رُبّت الرجل على مسدسه تحت إبطه ، وقال :

- سيكون هذا من سوء حظها .

ونهض الثلاثة فى هدوء ، وغادروا الفندق ، ثم اتجهوا إلى موقف السيارات ، وكل منهم يقبض على مسدسه فى تحفز ، وما أن بلغوا السيارة ، التى تجلس فيها (جيهان) ، حتى دفع أحدهم مسدسه عبر النافذة المفتوحة ، وألقى فوهته الباردة بصدغها ، وهو يقول فى صرامة :

- وقعت أيتها المتسائلة .

ألقى (جيهان) مجلة الأزياء عن يدها ، وتحركت فى عنف ..

وكان هذا - بالنسبة للرجل - أشبه بمحاولة للمقاومة ..

لذا فقد انتقل على الفور إلى الخطوة البديلة ، و ...
وصفّ زناد مسدسه ..

★ ★ ★

لم يشعر (جبر) بالارتياح ، إلا عندما تجاوزت سيارته حدود مدينة (جنيف) بالفعل ، وانطلقت فى الطريق إلى (برن) ، فاسترخى فى مقعده ، وراح يطالع مجلة أمريكية حديثة ، وعاونته السائق على الاسترخاء ، عندما بث داخل السيارة بعض الموسيقى الكلاسيكية الهادئة ..

ولكن فجأة ، تدخلت نغمة عنيفة ..

بوق دراجة من دراجات الشرطة ، أفسد اللحن الجميل ، وجعل (جبر) يعتدل فى حركة حادة ، ويستعيد أضعاف ثوتره ، وهو يقول :

- ما هذا بالضبط ؟

ألقى السائق نظرة على المرأة الجانبية للسيارة ، وهو يقول :

- يبدو أنه أحد شرطة الطرق السريعة .. إنه يشير إلينا بالتوقف .

أمسك (جبر) مسدسه ، وهو يقول :

- حذار يا رجل .. ربما كانت خدعة .

أمعن السائق النظر فى المرأة ، وقال :

- السيارة مصلحة على أية حال ، ولن أفتح زجاجها ، إلا بعد الاطمئنان التام .

صمت (جبر) لحظة ، ثم قال :

- فليكن .

تحسّس السائق مسدسه في تحلّز ، وتوقّف على جانب الطريق ، فأتجه الشرطي إلى يساره ، ووقف بدراجته البخارية ، ثم خلع خوخته ..

وارتفع حاجبا السائق في انبهار ..
إنه لم يكن شرطيا ، وإنما شرطية ..

شعراء فائنة ، باهرة الحسن ، تطلّعت إليه بابتسامة ساحرة ، وهي تقول :

- أوراقتك لو سمحت ..

فتح السائق النافذة المجاورة له ، وهو يقول :

- ها هي ذى .. إنها أوراق ديبلوماسية ، و....

قاطعته في هدوء :

- من يجلس بالخلف .

أجابها السائق في مرعة :

- إنه مستر (واطسون) ، الملحق التجارى للسفارة ،

و ...

قبل أن يتم عبارته ، انتزعت تلك الشعراء مسدسها من غمده بفتة ، وأطلقتته نحوه ..

وشعر السائق بألم في عنقه ، دون أن يسمع دوى رصاصته ، وقبل حتى أن تتسع عيناه في دهشة ، كانت طلقة أخرى تصيب (جير) ، الذى هتف ، وهو يرفع مسدسه :

- اللعنة ! .. إنها رصاصات مخنّرة .

ولم تبال الشعراء الفاتنة بمسدسه ..

ربما لأنها كانت واثقة من المفعول السريع لرصاصاتها المخنّرة ، التى أفقدته وعيه ، قبل حتى أن يصوب مسدسه نحوها ..

وفى اللحظة التالية ، برزت سيارة (كوربوف) و (إيفان) من بين الأشجار ، وخرج منها الأول ، قائلاً :

- أحضنت يا (أنستازيا) .. قمت بدورك خير قيام .

ثم أشعل سيجارته ، وهو يقول لـ (إيفان) :

- انقل (جير) إلى سيارتنا ، ثم تول أمر السائق

والسيارة .

حمل (إيفان) (جير) الفاقد الوعي ، ونقله إلى سيارتهما ، ثم أشعل النار فى السيارة الأمريكية ، قائلاً فى سخرية :

- هذا أحد مضار عمل السائق .

وعندما ابتعد ثلاثتهم عن المكان ، لم تكن ضحكات (إيفان) قد انقطعت بعد ، في حين كانت النيران تلتهم السيارة في نهم .. وبلا رحمة ..

★ ★ ★

انتفض جسد (كليرمان) في عنف ، عندما وقع بصره على (أدهم) ، الذي يجلس في هدوء ، على المقعد المنفرد ، في نهاية الجناح ، تطل من عينية نظرة صارمة ، تضفى عليه مهابة عجيبة ، جعلت (كليرمان) يتجمد في موضعه لحظة ، قبل أن يتحرك في عصبية ، محاولاً التقاط مسدسه ، ولكن (أدهم) أبرز مسدسه في سرعة مذهشة ، وهو يقول :

- لو أنني في موضعك لما حاولت .

أبعد (كليرمان) يده عن مسدسه في توتر ، وهو يقول في حدة :

- كيف دخلت إلى هنا ؟

أجابه (أدهم) في هدوء مستفز :

- من النافذة .

هتف (كليرمان) في عصبية :

- كيف ؟ .. إننا في وضوح النهار ، والشارع مزدحم ،

و....

قاطعه (أدهم) في صرامة :

- سيبرد الشاي يا رجل .

اتسعت عينا (كليرمان) في دهشة ، وهو يقول :

- ماذا ؟ ..

أجابه (أدهم) ، وهو يجذب إبرة مسدسه :

- إنني أكره تناول الشاي بارداً .

احتقن وجه (كليرمان) في حنق ، واستدار بفتح

الباب ، وهو يقول لمضيفة الفندق في عصبية :

- شكراً يا جميلتي .. الشاي وصل في موعده بالضبط .

تطلعت إليه المضيفة في دهشة ، ودفعت عربة الشاي

إلى داخل الحجرة ، قائلة :

- نحن في خدمتك يا سيدي .

وقع (كليرمان) الفاتورة ، وهو يقول متوتراً :

- شكراً لك .. سنصب الشاي بأنفسنا .. وداعاً .

قالها ، وهو يدفعها خارج الجناح في خشونة أدهشتها ،

ثم التفت إلى (أدهم) ، قائلاً في عصبية :

- ماذا تريد مني بالضبط ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

- لا شيء .. فقط أردت أن أتناول قدحاً من الشاي في

جناحك .. هل تمنع ؟

رمقه (كيلرمان) بنظرة عصبية ، قبل أن يقول :

- أمن المحتم أن نتناور بهذا الأسلوب السخيف ؟

أجابه (أدهم) في هدوء :

- كلا بالتأكيد .

ثم نهض من المقعد بحركة مباغتة ، وهو يستطرد في صرامة :

- إننى أفضل المواجهة المباشرة .

انعقد حاجبا (كيلرمان) في دهشة ، وهو يقول متوترا :

- أية مواجهة ؟

اتجه (أدهم) في هدوء إلى عربة الشاي ، وصب لنفسه

قدحا ، راح يرتشفه في هدوء ، و (كيلرمان) يتطلع إليه

في توتر بالغ ، قبل أن يجيب :

- أنت تعلم أن كلينا يسعى خلف تلك الأسطوانة

الدمجة يا (كيلرمان) .

سرى التوتر في جسد (كيلرمان) ، وهو يقول :

- أية أسطوانة ؟

أطلق (أدهم) ضحكة ساخرة ، قائلا :

- عجباً !.. كنت منذ لحظات ترفض المناورات

السخيفة .

بدا الغضب على وجه (كيلرمان) ، وهو يقول :

- فليكن أيها المصري .. سنتعامل بأوراق مكشوفة ،

ما دمت تحبذ هذا .. نعم .. نحن أيضا نسعى خلف تلك

الأسطوانة المدمجة ، ولكننا الأقوى .. العالم كله يعرف أن

الـ (سى .. آى .. إيه) هى أقوى جهاز مخابرات في العالم

أجمع ، ولن يمكنكم الوقوف في وجهنا أيها المصريون .

ابتسم (أدهم) في سخرية ، قائلا :

- ولكننا فعلناها من قبل .

هتف (كيلرمان) :

- حظ .. مجرد حظ .. أما في هذه المرة .. فالهزيمة

ستكون من نصيبكم حتما .

ارتشف (أدهم) آخر رشفة في قدحه ، ثم أعاده إلى

العربة في بساطة ، وهو يقول :

- حقا !.. تبدو لى شديد الثقة هذه المرة .

أجابه (كيلرمان) في حدة :

- وسترى أننى على حق في ثقتى هذه .

هز (أدهم) كتفيه ، واستدار عاندا إلى مقعده ، وهو

يقول :

- سنرى .

وكان من المستحيل أن يضع (كيلرمان) مثل هذه

الفرصة النادرة ..

لقد أولاه (أدهم) ظهره ، دون أن يجزّده من سلاحه ..
وسيدفع ثمن هذا الخطأ غاليا ..
وبسرعة ، استل (كيلرمان) مسدسه ، وصوبه إلى
(أدهم) ، و....
وأطلق النار ..

كان كرجل مخابرات محترف ، تلقى تدريبات لا حصر
لها ، تؤهله لمواجهة أصعب المواقف ، يدرك جيدا أنه من
المستحيل أن يخطئ إصابة هدفه ، من هذه المسافة
القريبة ، التي لا تتجاوز الأمتار الثلاثة ..
ولكن الأمر لم يكن يتوقف على مهاراته وخبراته
وحدها ..

بل كان يتوقف أيضا على طبيعة الهدف ..
وقدراته ..

ففى نفس اللحظة ، التي ضغط فيها (كيلرمان) زناده
مسدسه تقريبا ، وثب (أدهم) جانبا ، ودار على عقبيه ،
فتجاوزته الرصاصة ، واخترقت الجدار ، فهتف
(كيلرمان) ، وهو يصوب إليه مسدسه مرة أخرى :
- الثانية ستتصف منك .

ولكن (أدهم) وثب عبر الأمتار الثلاثة ، التي تفصله
عن (كيلرمان) ، على نحو بالغ المرونة ، وأمسك معصم
هذا الأخير ، ليدفع فوهة مسدسه إلى أعلى ، قائلا فى
سخرية :

- هذا لو أطلقتها .

وقرن قوله بكلمة كالتنبئة ، أصاب بها فك (كيلرمان) ،
الذى تراجع فى عنف ، وارتطم بعربة الشاى ، وسقط معها
أرضا ..

وعندما حاول التهوض ، استقبلته ركلة قوية من قدم
(أدهم) فى أنفه ، وهذا الأخير يقول ساخرا :
- إننى أفضلك راقدا أبها الوغد .

ارتطم رأس (كيلرمان) بالأرض فى عنف ، وفقد وعيه
على الفور ، فقال (أدهم) فى هدوء
- هذا هو المطلوب منك بالضبط .

ثم اتجه نحو لوحة أنيقة تزين الجدار ، وأزاحها قليلا ،
ثم النقط من خلفها جهازا صغيرا ، وهو يستطرد
- كل المطلوب .

ولمس الجهاز فى جيبه ، ثم فتح باب الحجرة فى هدوء ،
و...

« إلى أين يا سيّد (أدهم) ؟ » ..

اصطدمت به العبارة ، التي انطلقت من بين شففى
(شلينكو) ، الذى وقف بفتح الباب بجسده القوي ، و...
وجاء رد فعل (أدهم) مريغا كالمعتاد ..

لقد تحركت قبضته بسرعة البرق ، وهوت على أنف
(شيلنكو) بكلمة كالفنبلة ..

وتراجع الروسي في عنف ، مع الكلمة وعامل المفاجأة ،
وارتطم بالجدار المقابل في قوة ، ثم ارتد عنه ، لتستقبله
لكمة أكثر قوة من (أدهم) ، في لكمة مباشرة .
ولكن الروسي لم يسقط ..

فقط انطلقت من حنجرته حشرة غاضبة ، ثم وثب إلى
الخلف ، وانتزع من حزامه مصدعاً النيا كبيراً ، أشبه بمدفع
رشاش صغير ، وهو يهتف :
- فليكن .. أنت أردت هذا .

وانطلقت من المصدس الألى ست رصاصات دفعة
واحدة ..

وكلها تستهدف شخصاً بعينه ..
(أدهم صبرى) .

★ ★ ★



٩ - قتال ..

لم يكد (رونالد جبر) يستعيد وعيه ، حتى انتفض جسده
في عنف ، وخفق قلبه في هلع ، وهو يحدق في وجه
(سيرجى كوروبوف) ، الذى قل فى برود :
- [إن فقد استعدت وعيك .

لم يستعد (جبر) وعيه فحسب ، فى تلك اللحظة ، وإنما
استعاد معه كل ما قرأه فى ملف (كوروبوف) ، وكل ما عرفه
عنه ، منذ التحق بخدمة المخابرات الأمريكية ..

كان يعلم أنه صارم ، فاس ، لا قلب له ، ويمكنه سحق
رأس أمه نفسها بلا رحمة ، لو أمره رؤسؤه بهذا ..

وبكل توتره ، وما يعتل فى نفسه ، وما يعرفه عن
خصمه ، قال (جبر) فى عصبية :

- لماذا فعلت هذا يا (كوروبوف) ؟

هز (كوروبوف) كتفيه فى برود ، مجيباً :

- ضروريات العمل يا رجل .. أنت خير من يعلم هذا .

قال (جبر) فى توتر :

- ضروريات العمل قد تدفعك لمطاردتى ، أو تعطينى ،
أو تسحبيل محادثاتى الهاتفية ، ولكنها لا تسمح لك
باحفظافى بهذا الأسلوب ، الذى يناسب المجرمين ، بأكثر
مما يناسب رجال مخابرات مثلفا ، أو

فقطعه (سيرجى كوربوف) فى صرامة :

- قلت لك : إنها ضروريات العمل .

امتلع (جير) باقى عبارته مع القليل من لعابه ، فى
محاولة لترطيب حلقه الجاف من فرط الانفعال ، فى حين
تابع (كوربوف) فى برود :

- اسم أيها الرأسماليون ، تتفقون الكثير والكثير على
أعمال التحسس ، حتى أنهم يؤكفون فى (موسكو) أن
منزلية جهازكم وحدها ، تكفى للاتفاق على (روسيا)
كذها ، والنشالها من أزمتهالاقتصادية الطاحنة .. هذا
لأنكم تفرطون فى استخدام التكنولوجيا بالطبع ، وفى
رشوة كل من لا يمكنكم توريطة للعمل معكم .. أما نحن ،
فلا يمكننا مجاراتكم فى هذا ، وليس أمامنا سوى أن نعتمد
على أنفسنا .

ولوح بيده ، مستطرذا :

- لهذا ، فلنا وسائلنا الخاصة للحصول على المعلومات
المطلوبة ، وسترى بنفسك أنها أقل تكلفة بكثير .

صرت قشعريرة باردة فى جسد (جير) ، وجف حلقه ،
حتى صار أشبه بصحراء جرداء ، وهو يقول بصوت
متحشرج ، ومحاولاته للتخلص من قيوده لا تتوقف :

- ما الذى ترمى إليه بالضبط يا (كوربوف) ؟

التقط (كوربوف) مبرذا صغيرا ، وراح يقلم أظفاره فى
هدوء ، قبل أن يسأله ، نون أن يلتفت إليه :

- من يمتلك الأسطوانة ؟

ارتجف صوت (جير) مع جمده كله ، وهو يقول :

- أية أسطوانة ؟

انعقد حاجبا (كوربوف) فى غضب ، ثم أشار بسببته ،
فبرزت (أنستازيا) من ركن خلفى ، وارتسمت على شفيتها
الجميبتين ابتسامة ساحرة ، تطلع إليها (جير) فى توتر
شديد . فى حين قال (كوربوف) بنفس البرود :

- أنا واثق من أنك لم تلتق بزميلتنا (أنستازيا) من
قبل ، فهى من الجيل الجديد ، الذى التحق بالعمل رسميا فى
العهد الجديد .. إنها فاتنة كما ترى ، ومن العسير أن يقاوم
أحد سحرها .

ثم رفع أحد حاجبيه ، مستطرذا :

- ولكن هذه ليست موهبتها الوحيدة .

اتسعت ابتسامته (أنستازيا) ، وحملت شيئاً من الزهو .
و (كوربوف) يتابع :

- إنها تمتلك موهبة أخرى ، تجعل الجميع يمنحونها كل
مالديهم بسرعة مذهشة .

و أشار إلى (أنستازيا) ، فقذمت مبتسمة نحو (جير) ،
ثم أخرجت من جيبها إبرة طويلة ، والتقطت يده ، ثم
غرست إبرتها تحت إظفر سبابه اليسرى بحركة سريعة .
وأطلق (جير) صرخة هائلة ، مع تلك الآلام المبرحة ،
التي تصاعدت من يده إلى رأسه ، وأدارت مخه داخل
جمجمته في عنف

ونأقلت عيناً (أنستازيا) في جذل ، وكأنها تستمتع بتلك
الآلام ، في حين صب (كوربوف) لنفسه كأساً من الفودكا ،
وهو يقول في برود :

- أرحو أن يكون هذا قد أنعش ذاكرتك قليلاً .

هتف (جير) في ألم :

- ما تفعله حقيراً (كوربوف) .. حقير للغاية

أشار (كوربوف) بسبابه ، قائلاً :

- لو أننا تبادلنا المواقع ، لما ترددت لحظة في أن تفعل

بي ضعفه ، لتحصل على معلومة بسيطة .

ثم لوح بسبابه مرة أخرى ، فانتزعت (أنستازيا)
إبرتها ، وعادت تغرسها تحت إظفر الإبهام ..
ومرة أخرى ، أطلق (جير) صرخة هائلة ، وكاد يفقد
وعيه من شدة الألم ، فكرر (كوربوف) في هدوء :

- أين الأسطوانة ؟

هت (جير) في ألم ، وهو يجيب :

- إننا لم نحصل عليها بعد .

هز (كوربوف) رأسه ، قائلاً في هدوء :

- أعلم هذا بالتأكيد ، فمثل هذه الأمور لا تتم بسرعة
كبيرة .. إنما أريد معرفة الشخص ، الذي تتفاوضون معه
بشأنها .

ثم مال نحوه ، مسطرداً في برود أكثر قساوة من الثلج
نفسه :

- من هو يا مصتر (جير) ؟

انفجرت شفتا (جير) ، وبدأ من الواضح أنه بهم بكول
شيء ما ، إلا أنه لم يلبث أن تراجع ، وقال في توتر شديد :

- لا يمكنني أن أخبرك .. هذا يتعارض مع ..

قاطعت (أنستازيا) ، وهي تنتزع الإبرة من إبهامه في
عنف ، فصرخ مرة أخرى من الألم ، وهتف :

- هذه الأساليب وحشية .. ستدفعون ثمنها غالياً .

اتسم (كوربوف) في سخرية، وأشار إلى
(أنستازيا)، قائلا :
- دع هذا لوقتته .

اتجهت (أنستازيا) نحو موقد صغير في هدوء،
وأشعلته . ثم وضعت إبرتها الطويلة فوق السنة الذهب،
وحذق فيها (جير) في ارتياح، و (كوربوف) يرتشف
كأسه، ويقول في برود :

- في هذه المرة ستكون الآلام بشعة حقا، فالإبرة
ستكون ملتبهة، وهي تنفوس تحت الأنفطار .

صرخ (جير) :

- لا . لن يمكنكما هذا . لن يمكنكما فعله .

النقطت (أنستازيا) إبرتها التي التهمت إلى درجة
الاحمرار، ثم النقطت يده، المقيدة إلى المقعد في إحكام،
وهي تقول :

- جربني .

وكان الألم رهيبا بحق ..

وانهار (جير) تماما، وهو يصرخ

- سأخبرك يا (كوربوف) . سأخبرك كل ما لدى .

ارتشف (كوربوف) رشفا أخرى من كأسه، قائلا :

- افعل يا رجل، فأنا منصت جيد .

لهث (جير) في مرارة، وهو يقول :

- إنه رجل يدعى (ستيفان)، بقيم في الفيللا رقم

(١٠٣)، عند أطراف المدينة . إنها فيلا حصينة للغاية،

أشبه بالقلعة .

سأله (كوربوف) :

- أهو زعيم تلك المنظمة الخاصة ؟

أجابه (جير) :

- لمست أدرى . أقسم لك أن هذا كل ما لدينا . لقد

حاولنا البحث عن ملف للرجل، إلا أننا لم نعثر على شيء ..

هل لم نحدد بعد جنسيته، أو هويته الحقيقية .

صمت (كوربوف) قليلا، ثم سأله :

- وكم طلب ثمننا لها ؟

حاول (جير) أن يزدرد شيئا من لعبه، إلا أنه لم يجد

قطرة واحدة منه، وهو يجيب في صوت متحشرج مبحوح :

- مليار دولار .

شهقت (أنستازيا) في قوة، في حين انعقد حاجبا

(كوربوف) في شدة، وهو يقول :

- لقد أفسدتم العالم برأسماليكم العفنة .

ثم أشار إلى (أنستازيا)، فهتف (جير) :

- لا .. ليس ثانية .. لقد أخبرتك كل ما لدينا .. أقسم لك .

أجابه (كوربوند) في برود :

- أعلم هذا .

تألفت عينا (أنستاريا) ، وأمسكت شعر (جير) في قوة ، ودفعت رأسه إلى أسفل ، وهو يهتف :

- لا .. لا أريد أية آلام أخرى .

أجابته في بطم :

- هذه هي الأخيرة .

ثم غرست إبرتها في نقطة محددة من مؤخرة عنقه ، فأنطق شهقة مكتومة ، وجحطت عيناه لحظة ، ثم تراخى جسده كله دفعة واحدة ..

لقد كانت صادقة تمامًا في عبارتها ..

إنها آخر آلامه ..

في هذه الدنيا على الأقل ..

★ ★ ★

عندما تقدم الرجال الثلاثة نحو (جيهان) ، التي تجلس هادئة في سيارتها الحديدية ، منهمكة في مطالعة واحدة من مجلات الازياء الحديثة ، لم يكن يراودهم أدنى شك ، في أن العملية ستتم في سرعة ونجاح ، دون أدنى مشكلة ..

وحتى عندما أنفت (جيهان) المجلة ، وتحركت في عنف ، لم يزايلهم ذلك الشعور بالثقة ، إذ بدا لهم أن

رصاصة واحدة ، تنطلق من المسدس الملتصق بصدغها ،

ستكفي لإنهاء الموقف كله في لحظة واحدة

لذا فقد كان وقع المفاجأة عليهم عنيفًا للغاية ..

لقد اندفعت (جيهان) إلى الامام في سرعة ، وهي تدفع بد

الرجل إلى الخلف ، فانطلقت الرصاصة خلف رأسها ،

وبوت في أنفها بقوة ، فهتفت :

- أيها الوغد .

ثم دفعت باب السيارة بكل قوتها ، فارتطم بالرجل ،

ودفعه إلى الخلف في عنف ، ليرتطم بزميله ، ويسقط

الثلاثة أرضًا ، و (مانى) يهتف :

- يا للعينه !

قفزت (جيهان) خارج السيارة ، وركبته في أنفه ،

هائفة :

- من اللعينة أيها الحقير ؟

ثم تراجعت قدمها لتتقض مرة أخرى ، وتحطم الشنتين

من أسنانه ، وهي تستطرد :

- أهكذا تخاطب أنسة محترمة !؟

فقد (مانى) وعيه على الفور ، في حين هب الرجلان

الآخران واقفين ، ولوح أحدهما بمسدسه في وجهها ،

هائفا :

- متدفعين حياتك ثمنًا لهذا .
 وثبت (جيهان) في براعة ، وأطاحت بمسدسه بركلة
 قوية ، ثم دارت حول نفسها في رشاقة ، وحطمت فكه بركلة
 ثانية . وقبل أن يسقط فقد انوعى ، كانت تشب فوق مقنعة
 سيارتها ، متفاديه رصاصة الثالث ، ثم تعتمد عليها بكفها ،
 وتدور حولها بحركة مذهشة ، لتركل مسدس الثالث ، قبل أن
 تغفز عاليًا ، وتصربه بقنمبها في وجهه
 ومع سقوط الرجل الثالث ، هرع مسئول موقف السيارات
 إليها ، وهو يهتف :

- ماذا يحدث يا سيدتى ؟
 انصت كفها في هدوء ، وهي تهز كتفها ، قائلة :
 - لقد غازلونى بوقاحة .
 ففر الرجل ده في ذهول ، وهو يدير بصره في الرجال
 الثلاثة الفقدى الوعي ، في حين قالت هى فى هدوء :
 - أعتقد أنهم يحناحون إلى إسعاف عاجل .
 ثم عادت إلى السيارة ، وراحت تطالع مجلة الأزياء
 الحديثة فى هدوء ..
 وكان شيئًا لم يكن ..

★ ★ ★



وثبت (جيهان) فى براعته ، وأطاحت بمسدسه بركلة قوية

من يراجع ملف (أدهم صبرى) ، فى المخابرات العامة المصرية ، لابد وأن ينتبه إلى أن الفضل فى نجاته ، من معظم المخاطر التى يتعرض لها ، يعود إلى سمة خاصة به ، تميزه عن أقرانه ..

سرعة استجابته المدهشة ..

قد (أدهم) يمتلك موهبة خاصة ، تتيح له تحديد موقفه ، ودراسته ، واتخاذ الإجراء اللازم للتعامل معه ، ووضع موضع التنفيذ ، قبل أن يبدأ خصمه حتى فى إدراك ما حوله ..

وهذا ما حدث بالفعل ..

لقد شاهد (شليكو) بنزع مسدسه ، وتعريف نوع المسدس وقدراته من النظرة الأولى ، فوثب إلى الخلف ، وركل باب الجراح فى قوة ، وهو يلقي جسده أرضاً .. وانطلقت رصاصات (شليكو) فى اللحظة نفسها تقريباً

وأصابته الباب المغلق ..

واخترقته ..

كن من الواضح أنها رصاصات قوية بالفعل ، فقد عبرت الباب السميك وتجاوزته إلى الداخل ، فوق رأس (أدهم) مباشرة ، و (شليكو) يصرخ :
- لا لن تغلت ..

انقض على الباب ، وضربه بكتفه فى قوة ، فانفتح الباب فى عنف ، ووجد جسده يتدفع إلى الأمام ، ليستقبله (أدهم) بلكمة كالصاعقة فى أنفه ، وهو يقول :
- ألا تسقط أبداً يا رجل ؟

غامت الدنيا أمام عيني (شليكو) ، وصرخ فى غضب ، وهو يدير فوهة مسدسه نحو (أدهم) ، إلا أن هذا الأخير وثب بركله فى قوة ، مستطرذا :
- فليسقط مسدسك إذن .

ترك (شليكو) مسدسه يسقط ، وانقض على (أدهم) ، وأحاط وسطه بذراعيه القويتين ، ودفعه أمامه فى قوة ، وهو يطلق صرخات وحشية عجيبة ، حتى ارتطم ظهر (أدهم) بالجدار فى عنف ..

وعلى الرغم من الآلام الحادة ، التى انتشرت من ظهره إلى جسده كله ، لكم (أدهم) الروسى بين عينيه ، هائلاً :
- اسقط أبها الوغد .. اسقط .

ولكن (شليكو) أطلق صرخة وحشية أخرى ، وضرب ظهر (أدهم) بالجدار ثانية ..
وتضاعفت الآلام هذه المرة ..

وتضاعف معها غضب (أدهم) ..
لقد خيل إليه أنه يضرب جداراً من الصخر الصلب ، لا يتأثر قليلاً أو كثيراً بقبضته ، على الرغم من قوتها ..

حذارا بشرى. لم يعهد مثله قط، خلال حياته العملية
الحافلة.

انه لا يدري حتى كيف صنع الروس هذا ١٢..
كيف طوروا قوة الاحتمال البشرية، حتى بلغت هذا
الحد ١٣..

ولكنه، وعلى الرغم من دهشته، اعتبر الأمر بمثابة
تحذره.

وبكل ما يمتلك من قوة، ضم قهضيه، وهوى بهما
على رأس الروس، الذى أطلق صوتا لهما به حوار هور
بحنصر، قبل ان يصرخ فى غضب، ويضرب ظهر (أدهم)
للمرة الثالثة بالجدار ..

وفى هذه المرة، دفع (أدهم) الجدار بكل قوته، وصاح:
- حتى الشرايين تنهار فى النهاية.

وألقى جسده أرضا، وهو يتشبث بخصمه فى قوة، ولم
يكد يظهره يلمس الأرض، حتى دفع ركبته فى معدة
(شيسكو)، وألفه خلف ظهره فى قوة، ليرتطم بالجدار
شئ سلف

وسقط (شيسكو) على رأسه فى قوة، فى حين وثب
أدهم، واقفا على قدميه، فى مرونة مذهشة، ودار على
حسه نيركن غريمه فى انفة بكل قوته، ثم النقط مقعدا،
وهوى به على مؤخرة عنقه، بكل ما يملك من قوة ..

وارتطم وجه الروسى بالأرض، وخار كالشور مرة
أخرى، ولكنه ظل راقدا على وجهه هذه المرة، وأنفاسه
تتردد فى صعوبة ..

ونفض (أدهم) يده فى شدة ..
لقد بذل جهدا خرافيا هذه المرة، ليهزم خصما واحدا ..
ولكنه انتصر ..
أخيرا انتصر ..

وفى هدوء، عدل وضع رباط عنقه ومعطفه، ثم غادر
المكان فى بساطة، واستقبله رجال الأمن، وهم يهرعون
إلى المكان، هائنين:
- ماذا حدث هنا ؟

أجابهم (أدهم) فى هدوء، يوحى بأنه لا شأن له بالأمر:
- يبدو أنها عملية تصفيه حساب. الاثنان تشاجرا فى
الداخل، ويبدو أن أيهما لم ينتصر هذه المرة.

اندفع رجال الأمن إلى الحجرة، ولأنه لم يكن بينهم أحد
رجال أمن الدورية الليلية، فلم يعترض أيهم طريقه، وهو
يستغل المصعد، ويفتر المكان كله فى هدوء وبساطة ..
ومن حسن حظ (أدهم) أنهم مجرد رجال أمن فندق،
وليسوا أفراد شرطة نظامية، يدركون قواعد وأساليب
التعامل مع مثل هذه الأمور ..

وعلى الرغم من الاضطراب الذى ماد الفندق ، غادر
(أدهم) المكان فى هدوء ، واتجه إلى موقف السيارات ،
حيث تنتظر (جيهان) ، ولكنه لم يكذب يقرب منه ، حتى لمح
سيارة الإسعاف التى تغادره ، وسيارة الشرطة التى تقف
داخله ، فأسرع الخطا إلى المكان ، والقلق يتسلل إلى
نفسه ، إلا أن هذا القلق لم يلبث أن تلاشى ، عندما وقع
بصره على (جيهان) ، التى تقف هانئة ، تتحدث مع أحد
رجال الشرطة ، فاتجه نحوها ، وسمعها تقول :
- بالطبع أنهمم بالتهجم على .. إنهم وحوش أبها
الضابط .

رفع الضابط حاجبيه ، وهز كتفيه ، وهو يهتسم فى
ارتباك ، مغمفاً :

- وحوش ؟! . يدهشنى هذا القول يا سيدتى ، بعدما
رأيت هؤلاء المساكين .. أقصد المجرمين .

أشارت (جيهان) بسبابتها ، قائلة فى صرامة :
- المهم أن تتخذ الإجراءات القانونية ضدهم .
تنهد الضابط ، قائلاً :

- بالطبع يا سيدتى .. بالطبع .. لقد أريد الشهود
أقوالك ، وأكدوا أن الثلاثة هاجموك أولاً ، وأن كل ما فعلته
كان نوعاً من الدفاع عن النفس .

وابتسم مستطرداً :

- لسوء حظهم .

انتظر (أدهم) ، حتى أنصرف رجال الشرطة ، ثم اتجه
إلى السيارة ، واحتل مقعد القيادة ، وهو يسأل :
- ماذا حدث بالضبط ؟

هزت (جيهان) كتفها بلا مبالاة ، وهى تجلس إلى
جواره ، مجيبة :

- بعض الأغنياء حاولوا مهاجمتى ، فلقد كنتهم درسنا
يستحقونه .

رمقها بنظرة جانبية ، قبل أن ينطلق بالسيارة ، قائلاً :

- إلى أى معسكر ينتمون ؟

أجابته فى هدوء :

- إلى تلك المنظمة الخاصة على الأرجح ، فقد كان
بينهم ذلك الحارس ، الذى واجهته عند الفيلا أمس .

ثم التفت إليه ، مستطردة فى حماس :

- ولهذا قتلتهم فى عنف ، فقد أردت أن أضمن وجود
أحدهم على الأقل فى المستشفى ، حتى يمكننا استجوابه ،
واستخلاص ما لديه من معلومات .

كانت براعتها تدهشه إلى حد ما ، إلا أنه لم يعلق على
الموقف سوى عبارة واحدة :

- من الواضح أنك تختلفين تماماً عن (منى) .

لم يدرك لماذا اختار هذه العبارة بالتحديد ، ولكن جسدها
كله ارتجف لسماعها ، وانكمشت في مقعدها ، وهي تقول
في خفوت :

- في أى اتجاه ؟ .. الأفضل ثم الأسوأ ؟

كاد يصرخ في وجهها :

- لا توجد من هي أفضل من (منى) .

ولكنه أثر الصمت ..

لن يجيب تساؤلها ..

لن يناقش معها هذا الأمر قط ..

ليس من حق مخلوق واحد أن يناقش مشاعره
وعواطفه ..

وخاصة تلك التي تمنى (منى) ..

تنهد في عمق ، دون أن يلتفت إليها ، وسبح عقله في
لجة من الأفكار والمشاعر ..

ومن بعيد ، لمح رجل حاد القمصان ، يجلس داخل

سيارة كبيرة ، فانهقد حاجباه في شدة ، وهتف :

- إنه هو .

سأله جاره في السيارة في قلبي :

- من هذا يا جنرال ؟

أجابه الجنرال (تورنيسول) ، قائد قطاع العمليات
الخاصة ، في المخابرات الأمريكية :

- ذلك المصري ، الذي كثيرًا ما أفسد عملياتنا .. (أدهم
صبرى) .

انتفض جسده جاره في عنف ، وهو بهتف :

- (أدهم صبرى) .

هتف الجنرال (تورنيسول) :

- أسرع يا رجل .. انطلق خلفه .. لا تدعه يهرب عن

نظرك ، وحذار أن يشعر بك .

قال جاره متوترًا :

- سيدي الجنرال .. سنضيق وقتًا ثمينًا .. لقد أتينا من

(أمريكا) خصيصًا لنعد

قاطعه الجنرال في صرامة ؟

- صه يا رجل .. من الواضح أنك مستجد في عملنا

هذا . أى وقت ثمين هذا الذى نضيعه ؟! .. إن ظهور هذا

الرجل في الساحة ، يعنى أن فرصة نجاح أى عمل لنا قد

انخفضت بنسبة سبعين في المائة على الأقل .

وعاد يلقي نظرة شديدة التوتر على سيارة (أدهم) ،

قبل أن يضيف :

- صدقنى يا رجل .. هذا الوقت الذى تنفقه ، هو أكثر الأوقات أهمية ، فى العملية كلها ، فما تمت تتوى القيام بعملية كهري هنا ، فبدأ بأهم خطوة .

وأشار إلى سيارة (أدهم) ، مستطرذا فى صرامة :
- اقتل هذا الرجل .

وكان يعنى ما يقول ..
بكل حرف فيه .

★ ★ ★



١٠ - الجنرال إبليس ..

عذلت ممرضة قسم الطوارئ منظارها الطبي فوق عينيها ، وهى تتطلع إلى (أدهم) مليا ، قبل أن تقول فى حزم :

- أسفه يا سيدى .. النظم هنا تمنع زيارة المصابين فى قسم الطوارئ ، إلا بعد اتمام إسعافهم ، ونقلهم إلى حجراتهم .

رمقها (أدهم) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

- هذا ينطبق على الزيارات العادية .

ابتسعت فى سخرية ، قائلة :

- وما الذى يجعل زيارتك غير عادية ؟

أجابها (أدهم) فى صرامة :

- لأنها ليست زيارة على الإطلاق .. إننى أرغب فى

مقابلة موكلى .

قالت فى دهشة قلقة :

- موكلك ؟

رفع حاجبيه الصغيرة ، وهو يقول :

- نعم .. نسيت أن أقدم لك نفس .. (البيرت صمواليل)
المحامى .. لقد اتصل بي أحد رجالنا من هنا ، وأخبرنى
أنكم تعاملون المصابين الثلاثة بشيء من الإهمال ، وطالبنى
رؤسائى بمقاضاتكم من أجل هذا .

ثم مال نحوها ، مستطرذا فى صرامة :
- وأنت تعلمين أن التعويض فى هذه الحالة : يحمل
حتمًا ستة أصفار إلى يمينه .

ازدردت لعابها فى صعوبة ، وهى تقول -

- ولكننا لا نعامل أى مصاب بإهمال !

نوح بسبابته ، قائلاً :

- آه .. هذا قولك ، ولكننا لم نشاهد هذا على الطبيعة ، كما
يقتضى القانون ، ومنعك لى من رؤية الموكلين بوحى ب ...
قاطعة مرتبكة :

- فليكن .. لا داعى لكل هذه المحاضرة .

وزفرت متوترة ، قبل أن تضيف :

- سأسمح لك بمقابلتهم لخمس دقائق فحسب .. أليس
هذا ؟

ابتسم مجتهدًا :

- بالتأكيد .

قدته متوترة إلى حجرة الطوارئ ، وقالت فى عصبية ،
وهى تفتح له الباب :

- خمس دقائق وليس أكثر .

أوما برأسه ، قائلاً :

- إنها كل ما أحتاج إليه .

دلف إلى الحجرة ، وأغلق بابها خلفه ، ثم أدار عينيه فى
الرجال الثلاثة ، الذين تم تضميد جراحهم ، واستلقوا
متهاكين فوق أسرتهم ، ثم انتقى أحدهم ، واتجه نحوه ،
وهو يقول فى هدوء :

- كيف حالك يا رجل ؟

أجاب الرجل فى تهالك :

- أفضل من ذى قبل ، ولكننا سنقضى هذه المتوحشة
حتمًا .. إنها ..

بتر عبارته بفتة ، واتسمت عيناه فى ارتباع ، عندما
وقع بصره على فوهة معدن (أدهم) ، المصوبة إلى
رأسه مباشرة ، وهتف :

- يا للشيطان ! .. من

قاطعه (أدهم) فى صرامة مخيلة ، وبصوت خافت
لا يسمعه سواهما :

- إياك أن تنبش بهنت شفة .. أعتمد أنك محترف بما يكفى لتعلم أن هذا المسدس مزود بكاتم للصوت ، وأن كل ما أحताجه هو ضغطة بسيطة على الزناد ؛ لأنفس مخك ، دون أن يشعر بنا أحد .

تمتم الرجل فى رعب :

- نعم أعلم هذا .

سأله (أدهم) :

- ما إجراءات الأمن المتبعة فى الفيلا .

ارتجف الرجل ، وهو يهمس مذعورا :

- لا يمكننى أن أخبرك .. سيقتلوننى لو فعلت .

أجابه (أدهم) فى هزم :

- ومن سيدرى أنك فعلت ؟ .. هذا الحديث يدور بيننا

وحننا يا رجل .. هيا .. أسرع بإجابة أسئلتى ، قبل أن يثير حديثنا الاهتمام .

ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، وهو يقول :

- الفيلا أشبه بالقلعة ، ونظام الأمن بها موضوع بدقة ،

تعجز معها ذبابة عن اختراقه ، فالآت التصوير منتشرة فى

كل مكان ، والأسوار مكهربة ، والحراس بجوبون الحديقة

طوال الوقت ، دون لحظة واحدة من التوقف ، فى ثلاث

دوريات متصلة ، وهناك طاقم إضافى من الحراس ، ينتشر

حول المكان ، بالإضافة إلى رادار حديث على سطح الفيلا ، يكشف أية محاولة للتسلل جوا ، وتبلغ دقته حد كشف مظلى واحد ، يهبط منفردا على المكان .

صمت (أدهم) لحظة مفكرا ، قبل أن يسأله :

- هل يوجد مولد كهربى إضافى فى الفيلا ؟

أوما الرجل برأسه إيجابا ، وهو يتلفت حوله متوترا ،

وههمس :

- نعم .. إنه مولد قوى ومنطور ، ويبدأ عمله بعد ثلاث

ثوان فحسب من انقطاع التيار ، وهذا بخلاف جهاز الوصل

الكهربى ، المتصل بأجهزة الكمبيوتر ، الذى يعمل فور

انقطاع التيار ، حتى تستمر الأجهزة فى عملها .

صمت (أدهم) لحظات أخرى ، ثم سأل فى صرامة :

- وماذا عن (ستيفان) ؟ . أهو زعيم المنظمة ؟

هز الرجل رأسه نفيا ، وهو يقول :

- هذا ما يبدو ، ولكننى سمعتهم يرددون أنه ليس الزعيم

الحقيقى ، فقد سمعه بعضهم يتلقى الأوامر عبر الهاتف .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

ومن أين تأتبه هذه الأوامر ؟

هز الرجل رأسه نفيا ، وهو يقول :

- لا أحد يدرى .. لقد أخبرتك كل ما أعرفه ، وكل ...

كان الرجل يتحدث ، وعقل (أدهم) يعمل في سرعة ..
لما حصل عليه من معلومات ، كان يشير إلى أن المهمة
أكثر صعوبة مما كان يتوقع ..
أكثر بكثير ..

★ ★ ★

« بل أعتقد أنها مستحيلة .. »

نطقت (جيهان) هذه العبارة في توتر ، وهي تختبر
مهندسها ، في المنزل الآمن ، في قلب (جنيف) ، بعد أن
استمعت إلى ما حصل عليه (أدهم) ، الذي هز رأسه ،
وعقد حاجبيه مفكرًا في عمق ، وهو يقول :

- لا يوجد مستحيل في عالمنا هذا .. ربما كان نظام
الآمن في الفيللا شديد التعقيد ، ولكن القاعدة التي نؤمن بها
دائمًا ، أنه لا يوجد جهاز آمن خال من الثغرات ، مهما
بلغت دقته .

أعادت مهندسها الصغير إلى حزامها ، وهي تقول :

- وما الثغرة التي تجدها هنا ؟

صمت لحظات ، قبل أن يقول في حزم :

- ربما كانت الثغرة أكبر مما يمكنك رؤيته يا زميلتي
العزيزة .

خفق قلبها هذه المرة أيضًا ، كما يفعل كلما خاطبها
(أدهم) بهذا اللقب ، وجف حلقها ، وهي تتطلع إليه في
صمت ، ثم لم تلبث أن تمنعت ، وقالت محاولة لخفض تلك
المضاعر عن قلبها :

- إنك لم تشرح لي بعد ، لماذا تعمدت استغراز
(كولرمان) على هذا النحو الفج ؟

ابتسم (أدهم) ، وهو يجيب :

- سيهان هانمان دفعاني إلى هذا ، أولهما أن أثر غضبه
وسخطه ، وقلقه على نجاح العملية ، مما يجعله يتحرك في
سرعة وتوتر ، ومع السرعة والتوتر ، تتزايد الأخطاء
حتمًا ، وتتضاعف فرصتنا في الفوز ، مع كثرة أخطاء
الخصم .

اعتنلت ، تسأله في اهتمام :

- والسبب الثاني ؟

التقط نفسًا عميقًا ، وهو يخرج جهازًا صغيرًا من جيبه ،

مجيبًا :

- أن أستخدم هذا .

حدقت في الجهاز ، قائلة :

- ما هذا بالضبط ؟

أجابها بسرعة :

- أحدث جهاز تصنت مباشر .. إلى التسجيل ، يعمل فور وجود أصوات بشرية ، ويتوقف مع توقفها ، كما أن له حساسية التقاط كبيرة ، تتيح له تسجيل أضعف الأصوات .

هتفت في سعادة طفولية :

- هل وضعه في حجرة (كيلرمان) ؟

أوما براسه إيجابا ، وضغط زر الاستعادة في الجهاز ،

وهو يقول :

- لقد وضعنا هاتفه بالفعل تحت المراقبة ، ولكننا كنا نعلم أنه لن يستخدم الهاتف في الاتصالات الهامة ، لذا فقد وضعت جهاز النصت هذا في حجرته ، لننقل كل اتصالاته السرية .

بدأ الجهاز عمله ، وراح يبت حديثي (جبر) مع (كيلرمان) ، اللذين تما عبر جهاز الاتصال الخاص ، وأثناء زيارة الأول للآخر ..

واستمع (أدهم) و (جيهان) إلى الحديثين في اهتمام بالغ ، قبل أن تهتف (جيهان) :

- مليار دولار ؟! من الواضح أن منظمة (ستيفان) هذه لا تتميز أبدا بالقناعة .

أشار (أدهم) بيده ، قائلا :

- ليس هذا أخطر ما في الأمر يا زميلتي العزيزة ، ففي رأيي أن فكرة ذلك الهجوم الانتحاري على الفيل هي الأكثر خطورة .

وافقته بإيماءة من رأسها ، قائلة :

- بالتأكيد ، فهي أعنف خطوة اتخذتها المخابرات

الأمريكية هذه المرة .

ثم سألته في اهتمام :

- ولكن هل تعتقد أنها خطوة ناجحة ؟

التقط نفسا عميقا ، قبل أن يجيب :

- ستكون خطوة مباغتة بالتأكيد ، ومع عامل المفاجأة ،

أعتقد أنه من الممكن أن ينجح الأمريكيون في اقتحام

الفيل ، ولو فعلوا ، فربما حصلوا على تلك الأسطوانة

المدمجة بالفعل ، أو دفعوا (ستيفان) لتدميرها ، خشية

وقوعها في أيديهم ، وفي الحالتين سيعنى هذا أن عملياتنا

قد فشلت .

هزت كتفها ، قائلة :

- ربما فشل الاقتحام .

أجاب في حسم :

- في هذه الحالة سينسب الهجوم للروس ، لأن

الأمريكيين سيحرصون على أن يبدو كذلك ، وسيدفع هذا

(ستيفان) ومن خلفه إلى الإسراع بإتمام الصلقة ، وهذا أيضا في صالح الأمريكيين .

انعقد حاجباها في توتر ، وهي تقول :

- رهاه ... ماذا يمكننا أن نفعل إذن ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يقول :

- أن نفعد العملية كلها ..

قالها . وابتسامته تحمل الكثير من الجذل ..

ومن الغموض ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا الجنرال (تورنيسول) في غضب ، وهو

ينير عينيه في جناح (كيلرمان) ، الذي انقلب رأسا على

عقب ، إثر قتال (أدهم) معه ، ومع الرومى (شلينكو) ، في

حين قال (كيلرمان) في حلق ، وهو يضع كمادات باردة

على موضع إصابته :

- هذا المصري أشعل الغضب في أعماقي بالفعل ..

أقسم أن أمزقه إربا ، عندما تنتهى من هذه العملية .

رمقه الجنرال (تورنيسول) بنظرة صارمة ، قبل أن

يسأله :

- وأين ذهب الرومى ؟

زفر (كيلرمان) في توتر ، وهو يجيب :

- لقد نقلوه فاقد الوعي إلى المستشفى ، والشرطة

ما زالت تحلق في الأمر ، ولكن من المؤكد أن سفارته

ستدخل في الأمر كالمعتاد ، مستغلة جواز السفر

الديپلوماتى الذى بحمله .

قال (تورنيسول) في غضب :

- هذا يعنى إذن أنك تلقيت دسنة من اللكمات والركلات

مجاثا ، دون أن تظهر ب (أدهم صبرى) ، أو حتى بذلك

الرومى ، الذى اقتحم جناحك أيضا ، وكأنه طريق عمومى ،

من حق كل رجل مخابرات المرور به .

انعقد حاجبا (كيلرمان) في غضب ، وهو يقول :

- جنرال (تورنيسول) .. إنك تتحدث كما لو كنت رئيسى

في العمل . المفروض أنك هنا فقط لتفقد الفرقة

الانتحارية ، التى ستقتحم الغيلا ، وليس لتنقاد أعمالى

وأصاليبى .

أجابه (تورنيسول) في صرامة :

- بل أنا هنا لتنفيذ عملية ناجحة يا (كيلرمان) ،

وبصحبتي عشرة من أقوى وأهرع رجال القوات الخاصة

لتنفيذ العملية ، وأول واجباتى هو أن أفعل كل ما من شأنه

تأمينهم ، والعمل على نجاح مهمتهم .

لوح (كيلرمان) بكفه في غضب، هاتفا :

- لا شأن لهذا بي .

أشار (تورنسول) إلى الفوضى الشديدة في المكان، قائلا في حدة :

- ما أراه أمامي يؤكد العكس تماما .

صاح (كيلرمان) :

- قلت لك : إنتى ساقضى على (أدهم صبرى) هذا

تماما، بعد أن تنتهى من مهمتنا .

قال (تورنسول) في صرامة :

- هذا هو الخطأ بعينه .

ثم عقد كفيه خلف ظهره، وباعد ما بين قدميه، في

واقفة عسكرية صارمة، وهو يكمل :

- العملية لابد من أن تبدأ بسحق (أدهم صبرى) هذا .

قال (كيلرمان) في عصبية :

- فليكن .. دعنا نترك مهمتنا الأساسية، ونضيق

الوقت في البحث عن رجل المخابرات المصرى، و

قاطعه (تورنسول) في صرامة :

- أنا أعرف أين هو .

حدق (كيلرمان) في وجهه بدهشة، هاتفا :

- تعرف !؟

أوما (تورنسول) برأسه إيجابا في صرامة، قبل أن يقول :

- نعم .. أعرف أين المنزل الآمن، الذى يقيم فيه، ولقد

تركت هناك اثنين من رجالى العشرة لمراقبته، تمهيدا

لشن هجوم شامل عليه، وسحقه سحقا مع زميلته

الحسنة .

بدا التوتر الشديد على وجه (كيلرمان)، وأشعل

سيجارته في عصبية، وهو يقول .

- هل تعتقد أن شن هجوم شامل في منطقة سكنية، يعد

إجراء حكيمًا ؟

ابتسم (تورنسول) في سخرية، وهو يقول :

- ومن ذكر المناطق السكنية !؟

سأله (كيلرمان)، وهو ينفث دخان سيجارته في

عصبية :

- أين ستشن هجومك الشامل إذن ؟

اتسعت ابتسامة (تورنسول)، وهو يجيب :

- هنا تكمن خبرتى الحقيقية يا رجل .. نحن سنختار

صاحة المعركة بأنفسنا، ومنحصر على أن تناسبنا

تماما، وعلى ألا تناسب خصمنا قط .. فقط اترك لى الأمر

كله، وابدأ فى حفر قبر رجل المخابرات المصرى .

قلها ، وابتسامته تحمل الكثير من الثقة ..
ومن الحزم ..

★ ★ ★

انعقد حاجبا (ستيفان) في قوة ، وهو يطالع ذلك
الوجه . الذي نقلته إليه شاشات الرصد ، التي تنقل كل
ما يدور ، في كل شهر من الغيلا وحديقتها ، ثم سأل
مساعدته في حذر :

- ما الاسم الذي قلت أنه ذكره ؟
أجابه مساعدته في حزم :

- (كوروبوف) يا مستر (ستيفان) .. (سيرجى
كوروبوف) ، من جهاز الأمن القومى الروسى .
النقط (ستيفان) نفسا عميقا ، وهو يتطلع إلى صورة
(كوروبوف) على الشاشة ، مغمغما :

- من جهاز الأمن القومى الروسى !! .. يعلنها هكذا بكل
وضوح . عجبنا ١١ . كيف يمكن هذا ١٢ ؟

صمت لحظات طويلة ، وهو يقلب الأمر في رأسه على
كل الوجوه ، ثم رفع عينيه إلى مساعدته ، قائلاً :

- فليكن . اسمحوا له بالدخول ، بعد تفتيشه جيدا ،
وبعد مروره عبر بوابة كشف الأسلحة ، وأمام شاشة
الاشعة السينية .. أريده نظيفا تماما .. هل تفهم ؟

أجابه المساعد في حزم :

- كما تأمر يا مستر (ستيفان) .

طالع (ستيفان) وجه (كوروبوف) مرة أخرى ، ثم التفت
إلى جهاز الكمبيوتر ، وضغط أزراره بسرعة ، ليضع فيه
كل المعلومات ، فظهرت على شاشاته صورة مزدوجة
لـ (سيرجى كوروبوف) ، من وجهه وجانبه ، مع معلومات
تقول :

- (سيرجى كوروبوف) ، الشهير بالكوبرا ، من الفرقة
الخاصة بجهاز (كى . جى . بى) السوفيتى سابقا ،
والمخابرات الروسية حاليا .. فى الخامسة والأربعين من
عمره ، بالغ الخطورة ، تلقى تدريبات خاصة للغاية ..
لا يعرف الرحمة .. مصرح له بالقتل .

انعقد حاجبا (ستيفان) مرة أخرى ، وهو يتراجع فى
مقعده ، مغمغما :

- إنن فهذا صحيح . المخابرات الروسية قررت
الفتحام الموقف صراحة .. عجبنا ١١ . ليس هذا أسلوبيهم فى
المعتاد .

راح يدير الأمر فى رأسه على كل الوجوه ، حتى وصل
(كوروبوف) إلى مكتبه ، فنهض يستقبله فى هدوء . وهو
يقول :

- مرحبًا بك يا مستر (كوروبوف) .. كم يدهشني أن
تشرقني بزيارتك في مقرى المتواضع ، و

قاطعه (كوروبوف) في برود :

- أتيت أحمل إليك عرضًا محدودًا يا مستر (ستيفان) .

رفع (ستيفان) حاجبيه ، وهو يقول :

- رابع .. لو أنه بشأن السلعة التى أتوقعها ، فاخر ثمن
معروف لها هو مليار دولار .

ابتسم (كوروبوف) فى سخرية ، وقال :

- لست أعتقد أننا نستطيع دفع نصف هذا المبلغ .

هز (ستيفان) كتفيه ، قائلاً :

- فى هذه الحالة يؤسطنى أن ..

قاطعه (كوروبوف) مرة أخرى فى صرامة :

- ولكننى مازالت أحمل لك عرضًا محدودًا .

ثم مال نحوه ، مستطرذا :

- ولست أظنك تستطيع رفضه .

انعقد حاجبا (ستيفان) فى توتر ، وهو يقول :

- لا أستطيع رفضه ١٢ .. أى نوع من العروض هذا ؟

أجاب (كوروبوف) :

- النوع البسيط المباشر يا رجل .. نحن لا نستطيع

منافسة الأمريكيين اقتصاديًا ، ولكن لدينا أساليبنا أخرى ،

أكثر فاعلية وبساطة .. إننا نريد الأسطوانة مقابل ..

وبتر عبارته ، ليميل نحوه كثيرًا ، ويضيف :

- حياتك .

حنق (ستيفان) فى وجهه لحظة فى توتر بالغ ، ثم

انفجر فجأة ضاحكًا ، وهو يقول :

- وكيف يمكنكم تهديد حياتى يا مستر (كوروبوف) ؟

أجاب (كوروبوف) فى برود :

- إنه ليس بالأمر العسير .. قنبلة واحدة ، من قنابلنا

الخاصة ، تكفى لتحويل الفيلادلفيا كلها إلى كومة من الرماد ،

فى ثوان معدودة .

قال (ستيفان) متوترًا :

- ولكن هذا سيؤدى إلى نصف الأسطوانة أيضًا .

ابتسم (كوروبوف) ابتسامة ساخرة ، وهو يقول :

- هل تعتقد أن هذا سيحزقنا ؟

هب (ستيفان) من مقعده فى حدة ، قائلاً :

- كلا .. لست أعتقد هذا ، ولكن فى نفس اللحظة ، التى

سيتم فيها نصف الأسطوانة ، سيرسل الكمبيوتر الأم نسخًا

منها ، إلى كل نظم المخابرات فى العالم .. هذا جزء من

البرنامج .

انعقد حاجبا (كوروبوف) فى شدة ، وهو يقول صارمًا :

- إنك تجعل الأمر أكثر صعوبة يا مستر (ستيفان) .

قال (ستيفان) في حزم :

- هذه مهمتي يا مستر (كوروبوف) .

ثم لوح بكفه ، ولأت ملامحه بغتة ، مستطرذا :

- ولكن ..

اكتفى بقول الكلمة ، وهو يعود للجلوس خلف مكتبه في

هدوء ، وعيناه تبحثان عن الانفعال ، الذي مستركه على

وجه (كوروبوف) ، إلا أن هذا الأخير بدا له أشبه بتمثال

من الصخر ، بلا أدنى انفعالات ، مما جعله يتابع بمرعة :

- ولكن هناك وسيلة حتمًا لإتمام الصلقة معكم .

نوح (كوروبوف) بيده ، قائلاً :

- لا يمكننا ، بأي حال من الأحوال ، دفع مبلغ كهذا .

قلب (ستيفان) كفيه ، وهو يقول في خبث :

- ليس من الضروري أن تتقاضى المبلغ أموالاً مائلة .

قال (كوروبوف) ساخرًا :

- كيف تتقاضونه إذن ؟ .. على هيئة بضائع ؟

أشار (ستيفان) بمسأبته ، قائلاً :

- بالضبط .. ولكنها بضائع من نوع خاص .

ثم مال نحوه ، مستطرذا في حزم :

- منعيد لكم الأسطوانة ، مقابل عدد من الصواريخ .

وضاقت عيناه مع إضافته :

- ذات الرعوس النووية .

وكانت مفاجأة حقيقية لـ (سيرجي كوروبوف) ..

مفاجأة ساحقة .

★ ★ ★



١١ - الفخ ..

فتحت (جيهان) باب المنزل الآمن فى هدوء ، وبلغت إليه فى خفه ، ووقفت بضع لحظات صامتة ، تتطلع إلى (أدوم) ، الذى جلس إلى جوار النافذة مغلق العينين ، وقد شبك أصابع كفيه أمام وجهه ، واستغرق فى تفكير عميق ، وخيل إليها لحظة أنه لم ينتبه إلى وصولها ، حتى سمعته يقول فى هدوء :

- لماذا لا تغلقين الباب ؟

هتفت ، وهى تغلق الباب خلفها :

- تصورت أنك لم تنتبه لوصولي !

ابتسم ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- لو أنك أحد الأعداء ، لكنت إذن جثة هامدة ، لو لم أشعر بوصولك .

اتجهت نحوه ، وسألته فى شغف :

- وكيف عرفت أنه أنا ؟

فتح عينيه ، وهو يجيب فى بساطة :

- خطواتك واضحة ، ولقد توقفت أمام الباب ، وأخرجت سلسلة مفاتيحك ، وفتحت الباب فى هدوء ، ولكن مفصلاته تصدر صريرًا خافتًا ، ثم إنك لم تعيدى سلسلة المفاتيح إلى جيبك بعد .

هتفت مبهورة :

- رباه !.. يبدو أنتى أتعامل مع (شيرلوك هولمز) (*) نفسه .

ابتسم فى هدوء ، ثم سألها فى اهتمام :

- هل أرسلت الطرد ؟

أجابته فى حماس :

- بالبريد المباشر الفورى ، وسيصل فى غضون نصف

الساعة على الأكثر .

قال فى ارتياح :

- عظيم .. بقى أمر واحد .

سألته فى اهتمام :

- وما هو ؟

(*) (شيرلوك هولمز) : شخصية خيالية ، من ابتكار (آرثر كونان دويل) ، وهو كاتب بريطانى ، حصل من أجل مؤلفاته على لقب (سير) ، و (هولمز) بوليس سرى خاص ، يجيد فى الاستنتاج لمرجة مذهشة ، ويحقق به نجاحاته كلها .



جذبته معه إلى الأرض في نفس الموضع الذي حرق فيها رصاصه

زجاج النافذة ..

التفت إليها ، يسألها :

- عندما طاردك رجال المنظمة ، هل كانوا يرتدون ثياباً خاصة ؟

أجابته بسرعة :

- كلا .. كانت ثيابهم عادية .

بدا عليه الارتياح ، وهو يقول في انقباض :
- عظيم .

ثم نهض من مقعده ، مستطرداً :

- في هذه الحالة ، يمكننا أن ..

وبتر عبارته بفتة ، وهو يحذف عبر النافذة ، قبل أن
يقفز إلى الخلف بفتة ، هاتفا :

- احترسي .

جذبها معه إلى الأرض ، في نفس اللحظة التي اخترقت

فيها رصاصة زجاج النافذة ، وهشمت به ضجيج عنيف ،

فنهفت (جيهان) :

- رباه !.. لقد توصلوا إلينا .

صاح بها ، وهو ينهض في سرعة :

- اتبعيني .

قالها . وانطلق يعدو خارج المنزل ، فانطلقت خلفه

بلا تردد ، وعندما بلغا مدخل البناية ، كان الرجل الذي أطلق

البار على (أدهم) يثب داخل سيارة كبيرة، انطلقت به
مبتعدة، فوثب (أدهم) داخل سيارة (جيهان) بدوره،
ولحقت هي به، هاتفه :

- هل سننتقل خلفه ؟

أجابها، وهو ينطلق خلف سيارة القاتل بالفعل :

- حتما .. إننا لا نعلم إلى أي فريق ينتمي، ومن
الضروري أن نعرف أيهم توصل إلينا، فهذا يضع النقاط
على الكثير من الحروف .

سألته في اهتمام :

- وما الفارق في أي فريق كشف أمرنا ؟

قال وهو ينحرف خلف سيارة القاتل، التي تخترق
شوارع المدينة في سرعة :

- فارق ضخم يا زميلتي العزيزة، فلو أن الروس هم
الذين كشفوا أمرنا، فسيعنى هذا أن الخطر بالغ، إذ إن
صديقنا (كوروبوف) يعتبرنى الخطر الأكبر في طريقه، ثم
إنه لا يلتزم سوى بقاعدة واحدة .. اقتل أولاً، ثم سل عما
يحدث فيما بعد . أما لو كانوا الأمريكيين، فهذا يعنى
ضرورة التحرك بسرعة أكبر لحسم الموقف، قبل أن
يشغلونا بالقتال معهم عن القتال من أجل الهدف الأصلي .

قالت في اهتمام :

- بقى احتمال واحد .. أن تكون تلك المنظمة الخاصة
هى التي كشفت أمرنا .

انعقد حاجباه، وهو يقول :

- فى هذه الحالة سيدهشنى كثيراً أن يحاولوا التخلص
منا، قبل سماع عرضنا بشأن صفقتهم .

كانت سيارة القاتل تنطلق إلى خارج المدينة، فى هذه
اللحظة، فانطلق خلفها (أدهم)، محاولاً عدم كسر
إشارات المرور، أو إثارة توتر رجال الشرطة، خاصة وأن
سيارة القاتل لم تكن تنطلق بسرعة كبيرة، وكأنها لا تشعر
بمطاربتها لها ..

ولم تضر دقائق معدودة، حتى كانت السيارتان تنطلقان
خارج المدينة بالفعل، فقالت (جيهان) فى حيرة :

- لم لا نلحق به، ونحطم أنفه، لمعرفة من أرسله ؟

ابتسم فى سخرية، قائلاً :

- يا لرفقة مشاعرك .. كلا يا زميلتي العزيزة، ليس
من الأفضل أن نلحق به، فقد يقع فى قبضتنا، ثم يتضح
أنه من الطراز الشديد الصلابة، الذى يرفض الإذلاء
بما لديه، حتى لو مزقت أطرافه إرباً .. مادام لا يشعر
بمطاربتنا له، فلنتبعه إلى حيث يذهب، ولا شك فى أن هذا
سيقودنا إلى معلومات أكثر دقة وأكثر غزارة .

هزت كتفها . ومطت شفتيها ، قائلة .

.. كما تشاء .. أنت الرئيس هنا .

قالتها وران عليهما الصمت طويلاً ، وهما يتبعان سيارة القاتل ، حتى بلغا منطقة بحيرات متجمدة ، تبدو صامتة تماماً ، مع حلول الظلام ، فأنحرفت إليها سيارة القاتل ، وانحرف خلفها (أدهم) ، و .. .

وفجأة ، تفجّر في رأسه شيء ما .

فجأة ، انتبه إلى أن المنطقة صامتة ومقفرة ، وبعيدة عن العمران بأكثر مما ينبغي ..

وفي نفس اللحظة ، التي انتبه فيها إلى هذا ، لمح مصابيح السيارتين ، اللتين برزتا خلفه ، في ذلك الطريق الفرعى ..

وعند هذه النقطة ، لم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء بالغ ، ليدرك أنه وقع في الفخ
فخ محكم للغاية ..

★ ★ ★

حدث (سبرجى كوربوف) في وجه (ستيفان) طويلاً ، في مريح من الدهشة والاستنكار ، قبل أن يقول في شيء من الحدة :

.. يخيل إلى أن ما نقوله نوع من المزاح السخيف ، أو أنها عبارة خرقاء حمقاء ، لا تحمل أبنى قدر من المسئولية .

ابتسم (ستيفان) ، وهو ينهض إلى البار الصغير في مكتبه ، قائلاً :

.. بل هو عرض حقيقي يا مستر (كوربوف) ، وفي حالة قبولكم له ، أضمن لك أن تستعيدوا أسطواناتكم ، وألا يحصل عليها سواكم .

قال (كوربوف) في حدة :

.. ولكن صواريخنا ذات الرؤوس النووية ، ليست سلعة قابلة للبيع أو التفاوض . إنها مخزوننا من الأمن الاستراتيجى !!

هز (ستيفان) كتفيه بلا مبالاة ، وهو يصب لنفسه كأساً من الخمر ، قائلاً :

.. كان هذا فيما مضى يا عزيزى (كوربوف) ، أما الآن ، فالعالم أجمع يدرك ما آل إليه حالكم ، بعد الانهيار الاقتصادى الحالى .. إن شعبك يتضور جوعاً يا رجل ، في نفس الوقت الذى ظهرت فيه فئة من أصحاب الملايين ، وانتشرت الجريمة المنظمة على نحو لم يحدث من قبل ، وكل هذا يشير إلى أنه من المستحيل أن تفكر حكومتك فى

خوض حرب شاملة ، تحت أية ظروف أو ضغط ، ويعنى أن مخزونكم الاستراتيجى من الصواريخ ، ذات الرؤوس النووية ، لن يعدو كونه مجرد أرقام جافة ، فى قوائم الأسلحة غير التقليدية .

قال (كوربوف) فى صرامة :

- هذا لا يعنى أن نبيعها ، أو نبادل بها أشياء أخرى ، مهما بلغت قيمتها .

ابتسم (ستيفان) فى خبث ، قائلاً :

- ولم لا ؟ .. أنتم تريدون أسطواناتكم ، ونحن نريد تلك الصواريخ .. إنها تبدو لى صلفة عادلة للغاية .

نهض (كوربوف) من مقعده ، قائلاً فى حدة :

- خطأ يا مستر (ستيفان) .. خطأ .. لو أننا منحنا صواريخنا ، ذات الرؤوس النووية ، لكل من يطلبها ، أو يقايضنا عليها ، لأتى يوم تتوجه فيه صواريخنا نحو صدورنا ، وتهدد سلامتنا وأمننا .. كلا .. إنها صفقة مستحيلة تماماً .

التفت إليه (ستيفان) فى صمت ، وارتشف رشفة من كأسه ، وهو يسأله :

- قل لى يا مستر (كوربوف) : هل تعرف ما الذى تحويه تلك الأسطوانة المدمجة ؟

انعقد حاجباً (كوربوف) فى شدة ، وهو يقول :

- ليس من شأنى أن أعرف .. إننى أنفذ أوامر رؤسائى فحسب .

هز (ستيفان) كتفيه ، قائلاً :

- فليكن .. استشر رؤسائك إذن .

ازداد انعقاد حاجبى (كوربوف) ، وهو يقول :

- فيم ؟

أجاب (ستيفان) فى هدوء ، وهو يرتشف رشفة أخيرة من كأسه ، ويرمق (كوربوف) بنظرة جانبية ، ليستشف تأثير عبارته عليه :

- فى شأن الصفقة .. اتصل بهم ، وانظر ماذا يرون بشأنها .

قال (كوربوف) فى حدة :

- سيرفضون حتماً .

ابتسم (ستيفان) فى سخرية ، قائلاً :

- استشرهم أولاً يا مستر (كوربوف) .

رمقه (كوربوف) بنظرة طويلة صامتة ، ثم قال :

- فليكن يا مستر (ستيفان) .. سأفعل .

ثم لوح بسبابته فى وجهه ، مستطرداً فى حدة :

.. ولكن مثل بأنهم سيرفضون هذه الصفقة القذرة ..
سيرفضونها تمامًا

قل (ستيفان) صامتًا ، حتى غادر (كوربوف) المكان كله . ثم أطلق ضحكة ساخرة ، وهو يصب لنفسه كأسًا أخرى ، قائلاً :

- يرفضونها ١٢ .. سنرى يا مستر (كوربوف) ..
سنرى .

وعاد ليجلس خلف مكتبه ، ولكنه لم يكذب يستقر على مقعده ، حتى دخل أحد مساعديه إلى مكتبه ، وناولته شريط تسجيل صغير ، قائلاً :

- لقد وصل هذا بالبريد الفوري العاجل ، ومن الواضح أن اسم الراسل زائف .

تطلع (ستيفان) إلى الشريط في قلق ، ثم التقطه . ووضع في جهاز التسجيل المجاور له ، وراح يستمع إليه في اهتمام

واتسعت عيناه في ارتياح ..
فقد كان ما يسمعه عنيفًا ..
عنيفًا للغاية .

★ ★ ★

ارتسمت ابتسامة واثقة على شفطي الجنرال (تورنيسول) ، وهو يتطلع إلى ساعة يده ، قائلاً :

- الآن يكون الفخ قد أطبق على رجل المخابرات المصري .

مط (كيلرمان) شفطي ، وهو يقول :

- فرضية جدلية .

انعقد حاجبا (تورنيسول) في صرامة ، وهو يقول :

- بل برنامج موضوع بدقة بالغة يا (كيلرمان) .. فخ متقن إلى الحد الذي يكفي لخداع محترف من الطراز الأول ، مثل (أدهم صبرى) .. محاولة اغتيال فاشلة ، مجهولة المصدر ، وبعدها يفر القاتل ، ويبدو وكأنه لا ينتبه إلى أن الشخص المستهدف يتبعه .. ماذا تفعل لو أنك محترف ، مثل (أدهم) هذا ؟ .. ستطارده خفية بالطبع ، دون الإفصاح عن نفسك ، حتى يمكنك التوصل إلى مكمنه ، ومعرفة الجهة التي يعمل لحسابها .. فخ لا يمكن مقاومته بأرجل .

قال (كيلرمان) في شيء من العصبية :

- ربما لم تتطل عليه الخدعة .

ابتسم (تورنيسول) في ثقة ، وهو يقول :

- عندما أضع خطة للإيقاع بشخص ما ، فانا أختار
الخطة الفادرة على خداعي شخصيا ، لو كنت في الموقف
نفسه ، علما بأننى شخص غزير الشك ، لا أئتي حتى في
أصابعى ، وليس من السهل توريطى في فخ ما .

نفث (كيلرمان) دخان سيجارته ، قائلا :

- ومن أدراك أنه وقع في الفخ ؟! .. هذا المصرى اعتاد
دائما مباغتتنا بكل مالا نتوقعه

لوح (تورنسول) بصيابه نفيا في الهواء ، وهو
يجيب :

- لو أنه لم يفعل ، لتلقيت إشارة لاسلكية من رجالى ،
وعدم وصول تلك الإشارة يعنى أن كل شيء ما زال يسير
وفقا للخطة ، وعندما يطبق الفخ عليه تماما ، سيرسلون
إشارة أخرى ، لإبلاغنا بهذا .

غمغم (كيلرمان) في توتر :

- أرجو أن يمكنهم إرسالها .

لم يكذبتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فاخطف
سماعته بحركة سريعة ، قائلا :

- (كنوبى) .. من المتحدث ؟

أتاه صوت (ستيفان) ، وهو يقول في توتر واضح :

- مستر (كنوبى) .. جميل أن وجدتك ، فلدى ما أحب
أن أسمعك إياه .

احتقن وجه (كيلرمان) في شدة ، والهاتف ينقل إليه كل
حرف ، تبالله مع (جبر) ، بكل تفاصيل خطة العملية
الاتحارية ، التى اتخذها قرارهما بشأنها ، ولم يكذب البت
ينتهى ، حتى هاتف (كيلرمان) في حدة :

- زائف .. هذا الشريط زائف .

أجاب (ستيفان) في صرامة :

- بل هو تسجيل حقيقى يا مستر (كنوبى) .. لقد

أخضناه للمحلل الصوتى ، وتأكدنا من أنه حقيقى .

ازبد (كيلرمان) لعابه في توتر شديد ، وهو يقول :

- مستر (ستيفان) .. يمكننى أن أوضح الأمر .

أجاب (ستيفان) في غضب :

- لسنا بحاجة إلى التوضيح يا مستر (كنوبى) ، فكل

شيء يبدو لنا واضحا جليا .. لقد عرفنا نواياكم بشأننا
بالضبط .

قال (كيلرمان) في عصبية :

- فليكن .. إنه ليس أمرا شخصيا كما تعلم .. إنها

ضروريات العمل ..

أجاب (ستيفان) :

- بالطبع يا مستر (كنوبى) .. بالطبع .. نحن نقدر هذا ،

ونعرف ما الذى يمكن أن تدفعك إليه هذه الضروريات .

سمر (كيلرمان) بدهشة لذلك الحوار ، فغمغم .
- حقا ١٢

أجابه (ستيفان) في حماس مصطنع :
- بالتأكيد يا مستر (كنوبس) .
ثم أضاف في لهجة تقطر دهاء :

- ولكن هناك تغيير بسيط سيحدث في الخطة حتما .
سأله (كيلرمان) في حذر :
- أي نوع من التغيير ؟

استعاد صوت (ستيفان) صرامته ، وهو يقول :
- سيرتفع المبلغ المطلوب من مليار دولار إلى مليار
ونصف ، وسنمنحكم يوما واحدا لإتمام الصفقة ،
وإلا أتمناها مع الروس .

صاح (كيلرمان) في حدة :
- الروس لا يمكنهم منحكم ربع هذا المبلغ ، وإلا لانهار
اقتصادهم كله .

أجابه (ستيفان) في صرامة :
- ربما .. ولكن لديهم وسائل أخرى للمداد .
ثم أضاف بلهجة قاسية حاسمة :
- يوم واحد فقط يا مستر (كنوبس) ، وبعدها لن تتم أية
صفقات بيننا .

قالها ، وأنهى الاتصال في عنف ، جعل (كيلرمان)
يهتف محنقا :
- اللعنة !

سأله (تورنسول) في اهتمام :
- ماذا حدث بالضبط ؟
أجابه محتذا :

- ذلك المصري أفسد العملية كلها .. إنه لم يكن هنا
لنيتشاجر معي فحسب .. لقد سجل حوارى مع (جبر) حول
العملية الانتحارية ، ثم أرسل التسجيلات لذلك الحقيقير
(ستيفان) .

احتقن وجه (تورنسول) بدوره ، وهو يقول :
- إن فلن بعد لوجودنا أى داع .
ثم صاح محنقا :

- ألم أقل لك : إن الخطوة الأولى هي القضاء على ذلك
المصري ؟

لوح (كيلرمان) بيده ، هاتفا :
- إنه لك .. أرنا ما ستفعله به .

هتف (تورنسول) في غضب هائل :
- سترى ما يمكن أن يفعله الجنرال (تورنسول)
ورجاله .

لم يكذب ولم يمتع بعبارة ، حتى ارتفع أزيز خاص من جهاز الاتصال في جيبه ، فهتف في حماس :

- الإشارة .. لقد وقع في الفخ .

ثم انتزع جهاز الاتصال من جيبه ، وقال في انفعال :

- الصيد في قبضتكم يا رجال .. لقد ألغيت العملية

الرئيسية ، بعد أن انكشف أمرها بسبب ذلك الصيد .. الرجل

الذي أوقعتم به وجه إليكم أكبر إهانة في حياتكم ، بإفساده

عمليتكم الرئيسية .. استردوا كرامتكم واطفروا به .. أريده

كومة من اللحم المطري ، تعجز أمه نفسها عن تعرفه ..

هيا .. انطلقوا .

كان يعلم أنه بكلماته هذه قد حول رجاله العشرة إلى

وحوش كاسرة ..

وحوش تستهدف كلها فريسة واحدة ..

رجلنا (أدهم) ..

(أدهم صبرى) ..

★ ★ ★

« ماذا دهالك يا (أدهم) ؟ ... »

دوت الصرخة في أعماقه غاضبة ثائرة ، فور انتباهه إلى

السيارتين ، اللتين قطعتا عليه طريق العودة ..

وامتلأت نفسه بالسخط على نفسه ..

كيف لن ينتبه إلى هذا الفخ ؟ ..

كيف وقع فيه بهذه البساطة ؟ ..

كان يعترف في أعماقه بأنه فخ متقن ، ثم إعداده

ببراءة فائقة ، ودقة مدهشة ، نجحت في خداعه بالفعل ،

إلا أنه لم يستطع أن يغفر لنفسه وقوعه فيه على هذا

النحو ..

ولكن من حسن الحظ أن غضب (أدهم صبرى) يتحول

دائماً إلى طاقة إيجابية رهيبية ، تنبض بها عروقه ،

وتصرخ بها كل عضلة في جسده ..

وبكل غضبه وحزمه ، قال لزميلته الجديدة :

- تشبثي بمقعديك جيداً .

أطاعته (جيهان) بحركة غريزية ، وقبل أن تصاله عما

دفعه إلى هذا القول ، كان ينحرف بالسيارة بغتة ، متجاوزاً

الطريق الرئيسى الضيق ، إلى الغابة غير الممهدة إلى

بصاره ..

ولم يكذب ولم يفعل هذا ، حتى فهمت (جيهان) الموقف على

الفور ..

لقد انطلق من السيارتين الخلفيتين صرير عنيف ، قبل

أن تتضاعف سرعتهما ، وتتحرفا إلى الغابة بدورهما ..

ثم لحقت بهما السيارة الأمامية ..

وبدأت مطاردة عنيفة وسط الغابة ..

كان (أدهم) ينطلق بأقصى سرعة، وسط الأشجار العديدة، فيدور حولها في مهارة مذهشة، ويتجاوزها في خفة بلا حدود، و (جيهان) تهتف :

- إنه فخ إذن !!

أجابها في حزم :

- جميل منك أن لاحظت هذا .. أخبريني يا زميلتي

العزيزة، كم رصاصات تحملينها معك .

انترعت ممدسها على الفور، وهي تقول في حماس :

- ست رصاصات، هي كل محتويات خزانة ممدى ..

وماذا عنك ؟

أجاب في سخرية :

- أتفوق عليك بالطبع، وأحمل في ممدى ثمانى

رصاصات دفعة واحدة ألسر رئيسك المباشر ؟

فالت في حزم :

- أعتقد أن هذا يكفيننا .

ثم برزت بنصطها العلوى من النافذة، وأطلقت النار نحو

السيارات المطاردة ..

كان (أدهم) شديد البراعة، في القيادة فوق هذه

الأرض غير الممهدة، إلا أن براعته هذه لم تمنع الارتجاج

العنيف للسيارة، الذى منع (جيهان) من إجادة التصويب على السيارات المطاردة، التى ينطلق سائقوها ببراعة منقطعة النظير أيضا ..

ولكن رد الفعل جاء عنيفا للغاية ..

فلم تكدرصاصاتها تنطلق، حتى انهال عليها وابل من

الرصاصات، من ركاب السيارات الثلاث، فتراجعت

بسرعة إلى داخل السيارة، هاتفة :

- رباه !.. إنهم محترفون !

أجابها (أدهم)، وهو يلحرف بسيارته في سرعة :

- وهل راودك أننى شك في هذا ؟

ارتطم جانب ميارته بإحدى الأشجار، قبل أن يندفع إلى

منطقة أقل كثافة، في حين ارتفع من خلفه صوت ارتطام

إحدى السيارات الثلاث بواحدة من الأشجار، فقال ساخرا :

- هذه أكبر فائدة للسيارات الرياضية الصغيرة، التى

تميلين إلى استئجارها يا زميلتي العزيزة، فهي أخف

وزنا، وأقل حجما، وأكثر سرعة، مما يجعلها السيارة

المثالية، في مثل هذه الظروف .

ألقت نظرة خلفها، وهي تقول :

- ولكن السيارات الأخرى قوية أيضا، وقدرتها أكبر

على احتمال الصدمات، والدليل على هذا أن واحدة من

السيارات الثلاث لم تخرج من الخدمة بعد .

أجابها في حزم :

- وهذا يعنى أن القوة وحدها لن تحسم هذا الصراع .
وانحرف بفتة بالسيارة ، ثم أطفأ أنوارها ، مستطرذا :
- هناك الزكاء والبراعة أيضا .

قائها ، وهو يدور بالسيارة حول نفسها ، ثم يتزلق بها
بين صفيين من الأشجار ، فسأته (جيهان) في همس ،
وكأنها تخشى أن يكشف صوتها موقعهما :

- ما الذى تتوى فعله بالضبط ؟

أجاب في هدوء :

- مسترين .

كانت السيارات الثلاث القوية تتطلق باحثة عنه في
شراسة ، ومصاحبها تشقى الغابة ، وتلقى ظللا قوية
متشابكة ، للأشجار والنباتات الغزيرة ، على نحو تتداخل
معه المشاهد والمناظر والأشياء ، و...

وفجأة ، أضاء (أدهم) مصباحى سيارته مرة أخرى ،
وانقض بها على منتصف الطابور الصغير مباشرة ، وهو
يستل مسدسه ، ويطلق رصاصاته ..

واتصعت عينا (جيهان) في دهشة وانبهار كبيرين ..
فعلى الرغم من الارتجاج العنيف ، ومن أن (أدهم)
يستخدم يده اليسرى ، فقد نجح فى إصابة ثلاثة مصاييح ،

وإطارين ، وأحد سائقى السيارات ، قبل أن ينحرف
بسيارته فى براعة ، ويتجاوز السيارات الثلاث بقفزة
مدهشة ..

وفى غضب ، صرخ قائد الانتحاريين العشرة :

- طاردوه يا رجال .. لن نسمح له بالإفلات منا قط .
اضطرت إحدى السيارات الثلاث إلى التوقف ، لاستبدال
إطارىها التالفين ، بعد أن استعارت الإطار الاحتياطى
لسيارة أخرى ، فى حين انطلقت السيارتان الأخريان
تواصلان المطاردة فى إصرار وحش عنيف ..

وفى سيارة (أدهم) ، هتفت (جيهان) :

- يبدو أننا لم نعطلهم طويلا .

أجابها (أدهم) :

- لقد أخرجنا إحدى السيارات من السباق ، وهذا يكفى

كبداية .

زفرت فى توتر ، قائلة :

- المهم هو ما الذى تحمله لنا النهاية .

أجاب فى صرامة :

- أتركى الجواب للزمن .

ابتسمت ساخرة ، وهى تقول :

- أيعنى هذا أنه ما زال أمامنا زمن ؟

لم تكذ تتم عبارتها ، حتى ارتفع صفير قوى من بعيد ،
فصهقت هاتفة :

- رياه !.. اننا نتجه نحو شريط القطار .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يلمح مصباح القطار ، القادم
من بعيد ، وألقى نظرة على المرأة الجانبية لسيارته ،
فأدرك أن السيارتين المطاردتين تسعيان لمحاصرته
بينهما ، فقال فى حزم :

- ترى كم تبلغ سرعة القطارات هنا ؟

أدهشها سؤاله فى البداية ، ثم لم تلبث أن انتبهت فجأة
إلى ما يرمى إليه ..

وتطلعت فى توتر شديد إلى القطار ، الذى يقترب فى
سرعة ، و....

وفجأة ، عادت الرصاصات تنهمر على السيارة فى
عنف وغزارة ..

وبنظرة واحدة ، أدركت (جيهان) سبب هذا ..

لقد برز من كل من فتحتى سقف السيارتين ، أحد
المحترفين العشرة ، وقد أمسك كل منهما مدفعا آليا قويا ،
وداح بمطرهما برصاصاته ..

وانحنت (جيهان) فى مقعدها ، وهى تطلق صرخة
متوترة ، والرصاصات تخترق الزجاج الحلقى للسيارة ،

وتهشمه بدوى مكتوم ، فتتناثر قطعه الصغيرة فى كل
مكان ..

أما (أدهم) ، فلم ينحن لحظة واحدة ..

لقد انعقد حاجباه فى حزم مخيف ، وهو ينطلق بالسيارة
بأقصى سرعتها ، فى سباق رهيب مع الزمن ، يستهدف به
بلوغ قضبان السكك الحديدية ، قبل أن يبلغها القطار
القادم ، الذى يقترب أيضا بسرعة مدهشة ..

واخترقت إحدى الرصاصات زجاج السيارة الأمامى ،
بعد أن مرقت على مسافة سنتيمتر واحد من أنفه ،
وأطاحت ثانية بالمرأة الداخلية ..

إلا أنه لم يتحرك قيد أنملة ..

كان يبدو وكأنه قد استحال إلى آلة مبرمجة للقيادة
بأقصى سرعة ..

آلة لا تعرف الخوف أو القلق ..

وكان الموقف شديد التعقيد بالفعل ..

القطار يقترب فى سرعة ، من المنحنى الذى يندفع
نحوه (أدهم) ، وسيارتا المطاردتين تقتربان ،
والرصاصات المنهمرة منهما لا تتقطع ..

واتسعت عينا (جيهان) فى ارتياح ، وهى تتابع القطار
ببصرها ، هاتفة :

- لن نفلح .. لن نفلح .

كانت السيارة تنطلق بأقصى سرعتها بالفعل ، وكان من الواضح أنها لن تنجح في عبور المسافة المتبقية في الوقت المناسب ..

ولكن (أدهم) ضغط بواسطة الوقود أكثر وأكثر .. كان وكأنه يستحث السيارة على مجاراته في كسر حاجز المستحيل ، والانطلاق بسرعة تفوق سرعتها القصوى .. وفي سيارتي المطارين ، هتف أحد المحترفين :
- ما الذي يفعله هذا المجنون ؟ .. سورتطم بالقطار حتماً .

هتف به زميله :

- دعه يفعل .. سيوفر علينا الجهد اللازم للقضاء عليه .

أمسك زميل ثالث بيده ، وقال في انفعال :

- أتمنى أن ينجح في تجاوز القطار .

سأله الأول في دهشة :

- ولماذا ؟

أشار الرجل بسبابته إلى ضوء يبرز من بعيد ، فارتفع حاجبا زميله ، قبل أن يلتقيان مفا وهو يطلق ضحكة شرسة ، قائلاً :

- نعم .. أتمنى هذا .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، كانت (جيهان) تراقب القطار ، هاتفة .

- لن ننجح يا (أدهم) .. لن ننجح .. إنه يقترب بسرعة .

ولكن (أدهم) لم يجب ، وإنما انحرف إلى اليسار قليلاً ، وانطلق بزاوية حادة نحو القضبان ، ثم انحرف فجأة نحوها ، وانقض عليها مباشرة ، وقد صار القطار على مسافة ستة أمتار فحسب ، وصرخت (جيهان) :

- قف .. قف بالله عليك .. لن ننجح أبداً .

ومع صرختها ، وثب (أدهم) بالسيارة ..

وكان المشهد رهيباً بحق ..

لقد بدا وكأنه عملية بهلوانية انتحارية ، منفذة بدقة مذهلة ، فالسيارة قفزت أمام القطار مباشرة ، وتجاوزته قبل أن يرتطم بها بجزء من مائة جزء من الثانية ..

وصرخت (جيهان) في حماس جنونى ، والسيارة تستقر فوق القضبان العكسية ، والقطار ينطلق من خلفها بسرعة كبيرة :

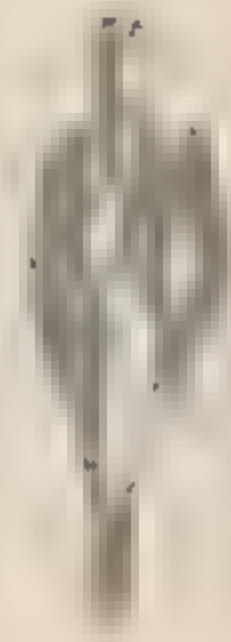
- لقد فعلتها .. فعلتها بحق .. لقد ..



وحدة، انتهت إلى ذلك القطار المضاد، الذي يندفع نحو اليسار
بسرعة مخيفة.

قبل أن تتم عبارتها، سطع ذلك الضوء المبهر في
وجهها ..
وفجأة، انتهت إلى ذلك القطار المضاد، الذي يندفع
نحو السيارة بسرعة مخيفة ..
وفي هذه المرة كانت صرختها تختلف؛ فقد حملت
الكثير من الرعب ..
ومن اليأس .

★ ★ ★



١٢ - المحترفون ..

أوقف (زورين)، نائب رئيس المخابرات الروسية، سيارته الصغيرة، أمام ذلك المبنى القديم، في قلب (موسكو)، وغادرها وهو يرفع ياقة معطفه؛ ليخفى بها نصف وجهه، ودق الباب ثلاث دقائق منتظمة، وانتظر حتى فتح (بوريس) الباب، فدخل إلى المكان في سرعة، وهو يسأله في صرامة :

- هل وصل الجميع هنا ؟

أجاب (بوريس)، وهو يكرمه إلى حجرة الاجتماعات :
- الجميع في انتظارك يا سيدي .

دخل (زورين) إلى قاعة الاجتماعات الصغيرة، وألقى نظرة طويلة على وجوه الرجال الخمسة، الذين احتلوا مقاعدهم حول المائدة، وقد ارتسم على وجوههم قلق واضح، لم يحاول أحدهم إخفاءه، وقال في برود :
- حسن .. لماذا طلبتم عقد هذا الاجتماع العاجل ؟

أجاب أحدهم متوترًا :

- إننا نشعر بالقلق .

صَبَّ (زورين) لنفسه كأسًا من الفودكا، وهو يسأل :
- من أجل ماذا ؟

تبادلوا نظرة متوترة، ثم انبرى أحدهم، قائلاً :
- الوقت يمضي بسرعة، وما زالت الأسطوانة في قبضة العدو نجهله، وكلنا نعلم أنه لو انكشف أمرنا، أو انكشفت محتويات الأسطوانة، سيكون نهايتنا بشعة .
ارتشف رشفة من كأسه، وتحسَّن شفثيه بلسانه، وكأنما يمنح نفسه فرصة للتفكير، قبل أن يجيب :
- قلت لكم : لا داعي للقلق .. لقد أرسلت فريقًا من أفضل رجالنا؛ لاستعادة تلك الأسطوانة، وكلنا ثقة في قدرتهم على العمل .

سأله آخر في قلق :

- وهل ينتمون إلينا ؟ .. أعني هل يعملون لحسابنا ؟

صمت (زورين) لحظات، قبل أن يجيب في حزم :

- إنهم رجال مخابرات محترفون .

تبادل الرجال الخمسة نظرة أخرى متوترة، قبل أن

يكرر الرجل سؤاله :

- ليس هذا هو المهم يا (زورين) .. المهم هو : هل هم

أعضاء في منظمتنا أم لا ؟

انعتقد حاجبا (زورين) ، وهو يجيب :

- هذا لا يهم .

هتف آخر مذعورا :

- كيف ؟!.. إنك تطالبهم بإحضار أسطوانة مدعجة ،
تحتوى أدق أدق أسرارنا ، فكيف لا يهمنا إذا كانوا يعملون
لحسابنا ، أم أنهم من أنصار التطور الإصلاحي الجديد ؟
قال فى حدة :

- قلت : إنهم رجال مظاهرات محترفون ؟

ولوح بيده فى غضب ، مستطرذا :

- سينفذون الأوامر ، ويحطمون تلك الأسطوانة تماما ،
دون أن يحاولوا إلقاء نظرة واحدة على محتوياتها .

قال (أحدهم) فى عصبية :

- وكيف يمكنك أن تثق فى هذا ؟

ضرب سطح المائدة بقبضته ، وهو يجيب محتذا :

- رجل المظاهرات المحترف ينفذ الأوامر بلا مناقشة ،

والأوامر التى تلقوها تحتم عليهم عدم الاطلاع على

محتويات الأسطوانة .

سأله آخر مترنذا :

- كيف يعرفون إذن أنها الأسطوانة الصحيحة ؟

أجابه (زورين) فى صرامة :

- الكود المسمى فى بداية الأسطوانة سيرشدهم إلى أنها
الأسطوانة الصحيحة .

لمح ظللا من الشك فى عيونهم ، فأضاف بسرعة :

- ثم إن رئيس الفريق مازال يميل كثيرا إلى النظام
القديم .

تهللت أساريرهم ، وهتف أحدهم :

- حقا ؟!.. إنه أحسننا إذن .

لم يجب (زورين) هذه المرة ، وإنما اكتفى بارتشاف
رشفة أخرى من كأسه ، قبل أن يقول :

- ثم إننى اتخذت كل الاحتياطات اللازمة .

تبادلوا نظرة قلقة حائرة ، قبل أن يسأل أحدهم مترنذا :

- كيف هذا ؟

ارتسمت ابتسامة باردة على شفتى (زورين) ، قبل أن

يجيب :

- قررت تنفيذ العملية مبكرا .

هوى عليهم جوابه كالصاعقة ، فامتفت وجوههم ،

وتبادلوا نظرة ارتياح ، قبل أن يهتف واحد منهم غاضبا :

- هل اتخذت هذا القرار وحدك ؟!

انعتقد حاجبا (زورين) فى شدة ، وهو يقول :

- كان هذا هو أفضل قرار يمكن اتخاذه ، في مثل هذه الظروف ، ولم يكن هناك وقت لاستشارة الجميع .

أجابه آخر في حدة :

- ولكنه قرار يمينا جميعا ، كان يجب أن تستشيرنا بشأنه ، قبل الإقدام على خطوة حاسمة كهذه .

قال (زورين) في صرامة :

- العملية كلها كانت مهددة بالخطر ، فيما لو انكشف أمر المنظمة ، ولم يكن من الممكن أبدا أن تتوقف عملية (الإعصار الأحمر) .. بل ولم يكن هذا منطقيا ، فلو انكشف التنظيم ، من خلال الأسطوانة المدمجة ، سيُلقي القبض علينا جميعا ، وينتهي بنا الأمر في غياهب السجون ، أو وسط ثلوج (سيبيريا) .. أما لو تأخّر موعد بدء العملية ، فسيمنى هذا أن تبدأ سيطرتنا على الجيش والحكومة مبكرا ، بحيث لا يعود لكشف الأمر أية أهمية . وعاد يضرب سطح المائدة بقبضته ، مضيفا :

- وهكذا اتخذت القرار .

غمغم (أدهم) متوترا :

- ولكن يا (زورين) ...

قاطعه في صرامة :

- الأوامر صدرت بالفعل ، وبات من المستحيل التراجع عنها .

- ثم انعقد حاجباه في شدة ، مع استطرأته :
- وبعد خمسة أيام من الآن ، سينطلق الإعصار من عقاله ..

واطلت من عينيه نظرة مخيلة ، وهو يضيف :
- الإعصار الأحمر .

وهوت القلوب بين الضلوع ..

وتحت الأقدام ..

★ ★ ★

لم يكد ذلك الضوء الساطع ، للقطار القادم من الاتجاه العكسي ، بغمر وجهي (جيهان) و (أدهم) ، حتى انطلق عقل هذا الأخير بعمل بسرعة الصاروخ ..

كانت السيارة مستقرة فوق القضبان ، والقطار يبعد عنها بدسة من الأمتار ، يمكنه قطعها في ثوان معدودة ، والقضبان ستعوق حتما عملية الاندفاع بالسيارة عبرها بالمرعة المنشودة ..

لذا فقد أدار (أدهم) عجلة القيادة ، وضغط دواسة الوقود ، وانطلق بالسيارة ..

انطلق فوق القضبان الحديدية نفسها ، وليس عبرها ..
وهتفت (جيهان) في ذعر :

- ماذا فعلت بالله عليك ؟.. القطار يطار دننا الآن ،
وسيلحق بنا حتماً .

لم يلتفت إليها ، وهو ينطلق بالسيارة بأقصى سرعته ،
محاولاً اكتساب قوة دفع مناسبة ، والقطار يقترب ..
ويقترب ..

ويقترب ..
ثم فجأة ، مال (أدهم) بالسيارة ، وقفز خارج الشريط
الحديدي ..

وصرخت (جيهان) في قوة ، والسيارة تطير في
الهواء ، على مسافة تقل عن نصف المتر ، من مقدمة
القطار ..

ولكن السيارة عبرت الخطر هذه المرة ..
تقريباً ..

ففي الجزء الأخير من الثانية ، وبعد أن عبرت السيارة
الفراغ كله ، لحق بها القطار ، وضرب حاجز الصدمات
الخلافي بكل قوته ..

وعلى الرغم من أن الجزء الذي أصابه القطار ، لم تزد
مساحته عن عشرة سنتيمترات مربعة ، إلا أن الصدمة
بدت عنيفة للغاية ، حتى أنها دفعت مؤخرة السيارة في
قوة ، فعالت مقدمتها على نحو مخيف ، وهي تهبط إلى

الأرض ، وترتطم بها ، ثم تقفز ثانية في مشهد بشع ، وتدور
حول نفسها في الهواء ، ثم تسقط مرة أخرى ، وتنقلب على
جانبيها في عنف ، وسط عاصفة هائلة من القبار ..
ولثوان ، راح القطار ينطلق فوق القضبان ، والسيارة
مستقرة على جانبيها ، ساكنة صامتة ، على مسافة أمتار
ثلاثة منه ..

ثم برز (أدهم) من نافذة السيارة ، وانحنى بجذب
(جيهان) ، ويساعدها على الخروج من السيارة ، وهي
تسعل هاتفة :

- مستحيل ١.. هل نجونا ؟

أجابها في حزم :

- مؤقتاً .. ما زال هؤلاء الأوغاد يطاردوننا .

سعلت مرة أخرى ، قائلة :

- أعتقد أنهم ظفروا بنا ، فلم تعد لدينا وسيلة للفرار .

تلقت حوله ، قبل أن يشير إلى نقطة بعيدة ، قائلاً :

- ربما ، ولكن هناك مكان تلجأ إليه على الأقل .

تطلعت إلى حيث يشير ، ووقع بصرها على مطعم

مغلق ، من المطاعم التي ينشط العمل فيها في فصل

الصيف ، فهتفت :

- هل تعتقد هذا ؟

بم يجيبها (أدهم) ، فقد انهمك بانتزاع قذاحة السيارة ،
والقائها مشتعلة أرضنا ، فوق الوقود الذى سال من
السيارة ، قبل أن يهتف بها :
- هيا بنا .

انطلقا يعدوان نحو ذلك المطعم المغلق ، وهى تلهث
قائلة :

- يبدو أن اسمى سيوضع على رأس القائمة السوداء ،
فى كل شركات تأجير السيارات ، فكل سيارة أستاذجها
تنتهى محترقة .

ابتسم ، قائلا :
- المهم ألا تكونى بداخلها عنئذ .

كان القطار قد ابتعد فى هذه اللحظة ، وبرزت سيارتا
المطاردين ، وقد لحقت بهما السيارة الثالثة ، وهتف أحد
المحترفين داخلها :

- ها هى ذى سيارتهما .. لقد أصابها القطار ، فاشتعلت
فيها النيران .

لم يكد يتم عبارته ، حتى انفجرت السيارة فى قوة ،
وتناثرت شظاياها المحترقة ، وامتزج دوى الانفجار
بصوت محترف آخر يهتف :

- ها هما ذان .. إتهما يعدوان نحو ذلك المطعم القديم
هناك .

انطلقت السيارات الثلاث ، وراحت تطلق النيران نحو
(أدهم) و (جيهان) ، اللذين جرىا بكل قوتهما ، وصاحت
(جيهان) :

- أرجو ألا يكون الباب مغلقا بإحكام .

استل (أدهم) مسدسه ، هاتفا :

- إنه كذلك حتما .

ودون أن يتوقف عن الجرى ، أطلق الرصاصتين
المتبقيتين لديه ، على قفل الباب ، فنصفه على الفور ، ثم
دفع الباب هاتفا :

- أسرعى .

قفزت (جيهان) داخل المكان ، وأغلق (أدهم) الباب
فى قوة ، والرصاصات ترتطم به فى دوى مكتوم ، فقالت
هى متوترة :

- عظيم .. أصبحنا سجينين داخل المطعم .. أنت
فرغت رصاصاتك ، وأنا فقدت مسدسى مع الارتطام .
تلقت حوله ، وهو يقول فى حزم :
- منجد ما نقاتل به حتما .

في نفس اللحظة ، التي نطق فيها عبارته ، كانت السيارات الثلاث تتوقف خارج المكان ، وهتف قائد المحترفين العشرة في صرامة :

- لقد وضعنا نفسيهما بأيديهما في المصيدة .. حاصروا المكان يا رجال .. لقد انتهت العملية تقريباً .

انتشر الرجال العشرة حول المطعم ، واستعدوا لاقتحامه بمدافعهم الرشاشة ، وزعيمهم يقول :

- اتخذوا مواقعكم ، واستعدوا جيداً ، وسأبدأ العد عكسياً ، من عشرة إلى واحد ، وعندما انتهى ، سنقتحم كلنا المكان في آن واحد .

بلغ الهتاف مسامع (جيهان) ، فقالت متوترة :
- عظيم .. أعتقد أنها النهاية .. دعني أصالحك في حرارة يا سيادة العميد ، لقد كان العمل معك ممتعاً ، ويسعدني أن أموت بصحبتك .

تجاهل (أدهم) يدها الممدودة إليه ، وهو يقول في حزم :

... لم يحن الوقت بعد .

ثم تحرك في سرعة ، فأتجه إلى المطبخ ، وفتح الموقد ، فانتشر الغاز الطبيعي في المكان ، وسأله (جيهان) :

- عجباً !.. هل تفضل الانتحار ؟
ابتسم قائلاً :

- الانتحار للجبناء يا زميلتي العزيزة .

والتقط علبة ثقاب ، وراح يثبتها في إطار الباب الخلفي للمطبخ ، ثم انتزع منها عود ثقاب ، ثبته بشريط لاصق إلى الباب ، بحيث يلمس طرفه ذلك الجزء الخشن ، المخصص للاشتعال ، في جانب علبة الثقاب ..

ثم حمل موقد (الميكروويف) الصغير ، وأسرع به إلى قاعة الطعام ، وأوصله بالتيار الكهربى ، وهو يقول :

- ابحثى عن أية عبوات مضغوطة .. مبيدات حشرية ، مثبتات شعر .. أو حتى علب الكريمة المخفوقة ، التي توضع على سطح القهوة .

أسرعت تبحث بسرعة ، في حين انتزع هو أحد مفارش المائدة ، وراح يقطع منه بعض القطع الصغيرة ، وأحضر وعاء الكحول (*) ، وراح يملأ بعض الزجاجات الفارغة بالصائل ، ويمدّها بقطع القماش الصغير ، وقائد المحترفين في الخارج يبدأ عده التنازلى .

(*) الكحول مركب عضوى ، يتركب جزئيه من الكربون والهيدروجين والاكسجين ، ويشتمل على مجموعة أو أكثر من مجموعات الهيدروكسيل ، وتنقسم الكحوليات إلى كحوليات أحادية وثنائية ، وثلاثية ، وتختلف في خواصها الفيزيائية والكيميائية ، كما تختلف بين سوائل وجوامد ، وهذا في درجات الحرارة العادية .

انطلقا يعدوان إلى الطابق العلوى ، فى نفس اللحظة ،
التي هتف فيها الزعيم :

- واحد .. اجمعوا .

ومع صيحته ، بدأ الهجوم ..

وفى آن واحد ، اقتحم ثلاثة من المحترفين باب المطعم
الرئيسى ، ومثلهم باب المطبخ الخلفى ، فى حين قفز
الأربعة الآخرون عبر التوافذ ..

وكانت المفاجأة الأولى من نصيب أولئك ، الذين
اقتحموا باب المطبخ الخلفى ..

نقد أطنقوا النار على رتاج الباب من الخارج ، ثم
انقضوا على الباب بكل قوتهم ..

ومع الدفعة الأولى ، احتك رأس عود الثقاب بالمصطح
الخشن للملعب ..

واشتعل ..

وكان المكان ممتلئًا بالغاز الطبيعى ، الذى التقط لسان
اللهب من عود الثقاب ، و ...

ودوى الانفجار ..

وسقط اثنان من المحترفين صرعى ، فى حين اشتعلت
النيران فى الثالث ، الذى أطلق صرخات رهيبة ، وراح
يعدو فى القابة كشعلة حية ، وألقى جسده أرضًا ، وراح
يتقلب فى هلع وألم ، محاولًا إطفاء نيرانه ..

- عشرة .. تسعة .. ثمانية ..

قالت (جيهان) فى توتر ، وهى تحمل بعض علب المعبد
الحشرى المضغوطة (البخاخات) :

- ماذا ينبغي أن أفعل بها ؟

أجابها فى حسم :

- ضعها فى فرن (الميكروويف) .

هتفت فى دهشة :

- ولكن هذا بالغ الخطورة ، فلو وضعت أية أشياء
معدنية فى (الميكروويف) ، سيؤدى هذا إلى انفجاره ،

و

هزت عبارتها بغتة ، وقد انتبهت إلى الموقف ،
فأضافت فى جنل :

- وهذا هو المطلوب .

ابتسم (أدهم) ، قائلاً :

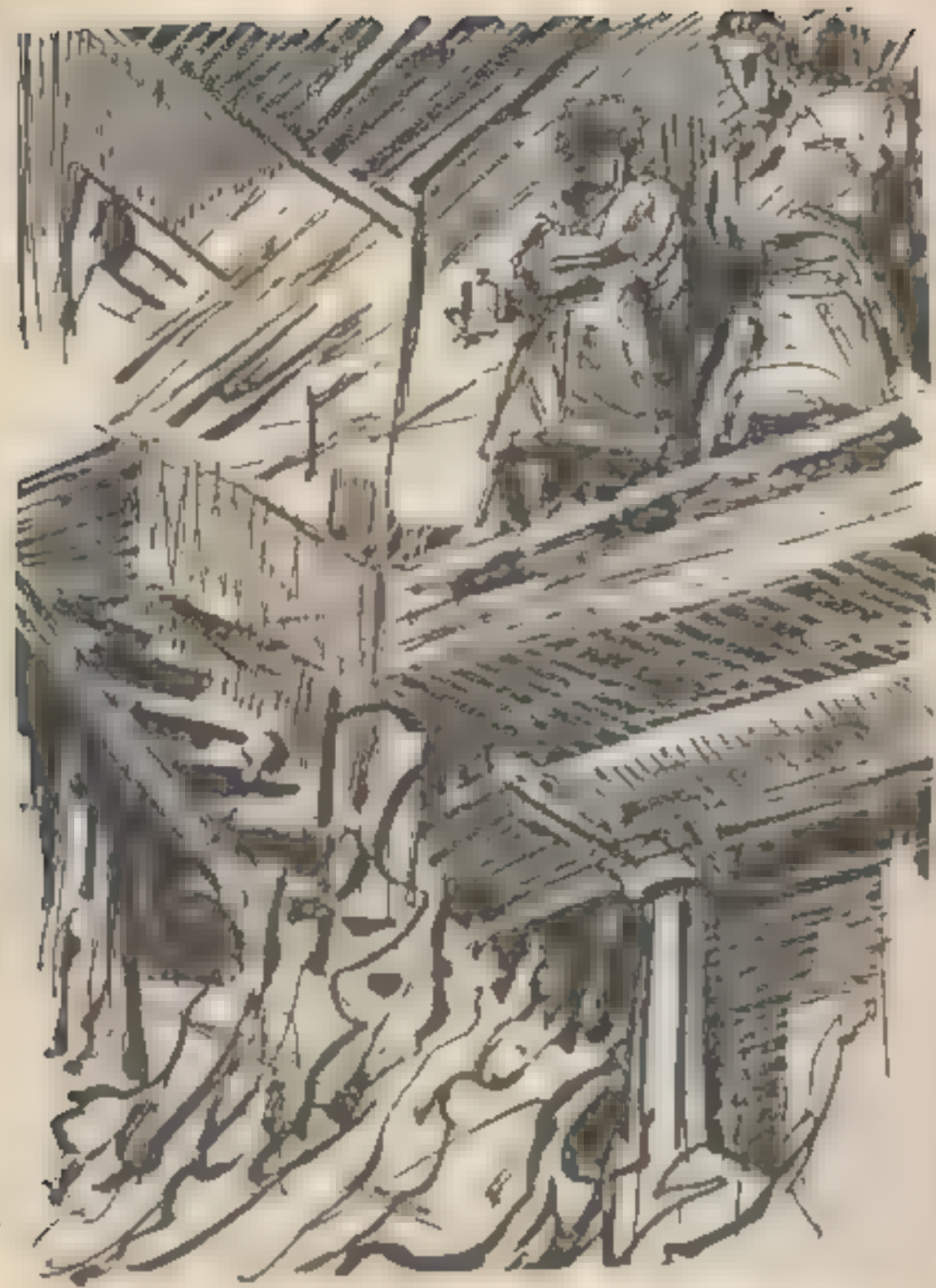
- يسعدنى أنك تستوعبين الأمور فى سرعة .

كان الزعيم يواصل فى حزم :

- خمسة .. أربعة .. ثلاثة .. اثنان .

وألقى (أدهم) عددًا من الزجاجات المملوءة بالكحول
إلى (جيهان) ، قائلاً :

- متحارب من الطابق العلوى .



فندق (أدهم) ١٩١٠ ميلاد - جدار خشبي في طبق شاي

وأمسكت هي زجاجات الكحول في قوة

وصاح الزعيم في غضب :

- إنه فخ .. أطلقوا النار .

انطلقت رصاصات الرجال في كل مكان ، فالتصق (أدهم) و (جيهان) بالجدار الخشبي ، في الطابق الثاني ، و أمسكت هي زجاجات الكحول في قوة ، وهي تقول :

- هل تبدأ الهجوم الآن ؟

هز رأسه نفياً ، وقال :

- ليس بعد .. سنبدأ بعد الانفجار الثاني مباشرة .

ثم أخرج من جيبه علبة ثقاب أخرى ، ناولها إياها ، مستطرداً :

- ستولين مهمة إشعال النار .

ابتسمت في سخرية ، قائلة :

- عظيم .. أصبح لي شيء من الأهمية على الأقل .

كانت الرصاصات تتطلى في غزارة في الطابق

السفلي ، وسمعت (جيهان) الزعيم يقول في غضب :

- ثلاثة يصعدون إلى الطابق العلوي .. من الواضح

أنهما يختبئان هناك .

رفعت حاجبها ، قائلة في توتر :

- يبدو أننا سنضطر لتجاوز البرنامج ، وسنبدأ القتال

على الفور .

قالت ، وهي تفتح عتبة الثقاب ، ثم هتفت في حلق :

- لا .. ليس هذا .

بلغت صيحتها مسامع المحترفين السبعة فى الطابق
الأرضى ، فصاح الزعيم :

- إنهما هناك بالفعل .. اظفروا بهما يا رجال .

وفى نفس اللحظة ، التى ألقى فيها هتافه ، كان (أدهم)
يخدق فى علبة الثقاب ، التى التقطها من المطبخ ، ليشتعل
قبائل (المولوتوف) * التى صنعها ..

إنها لم تكن تحوى أعواد ثقاب عادية ، وإنما كانت تمتلئ
كلها بأعواد ثقاب نصف محترقة

ولم يكن هناك مبرر منطقى للاحتفاظ بشيء كهذا فى
المطبخ ..

ولكن هذا ما حدث ..

وتعالى وقع اقدام ثلاثة من المحترفين ، يهرعون إلى
الطابق العلوى للمطعم ، وكل منهم يحمل مدفعه الآلى ،
ليواجهوا اثنين من أفراد المخابرات المصرية ..

اثنان لا يحملان أسلحة فعالة ..

أية أسلحة .

★ ★ ★

(★) قبيل امويونوف ابتكار روس بسيط ، يعود إلى الحرب
العالمية الثانية . عندما حاصر الألمان مدينة (موسكو) ، ونفذت
ذخيرة المقاتلين السوفيت ، فبتكر الجنرال (مولوتوف) هذا النوع من
القبائل البسيطة ، التى تتكون من زجاجة وقود ، ومسددة من القماش ،
تشتعل لتفجير الوقود .

١٣ - المصيدة ..

قطع (كيلرمان) ممر مستشفى (جنيف) المركزى فى
خطوات واسعة ، حتى توقف أمام رجل شرطة سويدي ،
وقال :

- (برت كنوبى) .. من السفارة الأمريكية .. لقد
أبغتمونا بعثوركم على أحد رجالنا .

صافحه الشرطى ، قائلاً :

- مستر (كنوبى) . لقد عثرنا بالفعل على رجل
أمريكى الملامح ، يحمل جواز سفر باسم (رونالد جبر) .
ولكننا نحتاج إلى من يتعرفه ، ليثبت أنه كذلك بالفعل .

سأله (كيلرمان) فى توتر :

- أين عثرتم عليه ؟

أجابه الشرطى ، وهو يقوده إلى ثلاجة حفظ اموالى
بالمستشفى :

- بالقرب من البحيرة .. الطبيب الشرعى لم يبدأ تشريح
الجثة بعد ، ولكن لا يوجد سبب واضح للوفدة .

غمغم (كيلرمان) :

- سنرى .

أشار الشرطي إلى عامل الثلاجة ، فجذب أحد أذراجها الكبيرة . فتقدم منه (كيلرمان) في ثبات ، وألقى نظرة على وجه (جبر) ، قبل أن يزدرد لعبه ، قائلا :
- إنه هو .

أوما الشرطي برأسه ، قائلا :
- يمكننا أن نتم الإجراءات إذن .. قل لي يا سيدي : هل ترغبون في نقله إلى بلادكم مباشرة ، بعد انتهاء الطبيب الشرعي من فحص جثته .

قال (كيلرمان) في صرامة :

- لا ضرورة لذلك الفحص .

هز الشرطي رأسه ، قائلا في حزم :

- إنه إجراء حتمي .

صمت (كيلرمان) لحظة ، قبل أن يقول :

- فليكن . سنحتاج إلى نسخة من تقرير الطب الشرعي .

أشار الشرطي بسيابته ، مغمفا :

- يمكنني أن أضمن لك هذا .

ثم استطرد في اهتمام :

- هل ستحصل على متعلقاته الآن ؟

أجاب (كيلرمان) في حزم :

- نعم .. أريد الحصول عليها فوراً .. اعمل على

إعدادها ، حتى أنتهى من إجراء مكالمة هاتفية .

قالها ، واتجه إلى هاتف عادي ، في ركن المستشفى ، وطلب رقما خاصا ، ولم يكد يسمع صوت محدثه ، حتى قال في عصبية :

- إنه (جبر) بالفعل .. التقرير الرسمي يقول : إن سبب الوفاة غير معروف ، ولكنني واثق من أن أحدهم قتله بوسيلة فنية ، تترك أثارا طفيفة .

سأله محدثه في توتر :

- من فعل هذا في رأيك ؟

أجاب (كيلرمان) في غضب :

- الروس أو المصريون .. أحدهما قرّر إزاحته عن

الطريق .

قال محدثه في حزم :

- أو انتزاع ما لديه من معلومات .

صمت (كيلرمان) لحظة ، قبل أن يقول :

- إنني أرجح هذا الاحتمال الأخير .

قال محدثه حازما :

- في هذه الحالة ، يمكنك استبعاد المصريين ، فهذا

ليس أسلوبيهم المعهود ، ثم إن رجلهم ، الذي يتولى الأمر

هنا ، ليس من الطراز الذي يقتل بلا ميرر .

قل (كيلرمان) وتوتره يتضاعف :

- إذن فالروس وراء مصرع (جبر) .. اللعنة !..
أقسم أن يدفعوا الثمن غالياً .
أجابه محدثه في صرامة :

- فيما بعد يا (كيلرمان) . فيما بعد .. المهم أن كل
الموشرات تحتم إنهاء العملية بأقصى سرعة
ثم صمت لحظة ، قبل أن يقول في حسم :
- أقبل عرض (ستيفان) يا (كيلرمان) .
انعقد حاجبا (كيلرمان) في شدة ، وهو يقول :
- أقبل عرضه .. ولكن نك المافون يطب ملياراً
ونصف المليار من الدولارات ، وخلال أربع وعشرين
ساعة فحسب .. كيف يمكن تدبير مثل هذا المبلغ ، في
وقت قليل كهذا .
أجابه محدثه :

- لقد اتصلت بالمسولين في (واشنطن) ، ولديهم حل
لهذه المشكلة .

سأله (كيلرمان) في اهتمام :

- وما هذا الحل ؟

أجابه محدثه في شيء من السخرية :

- هل تذكر عملية (فونتانا) ؟

برقت عينا (كيلرمان) في شدة ، وهو يقول :

- هل تعنى أن ...

قاطعه محدثه في سرعة :

- نعم يا (كيلرمان) .. أعنى ما فهمته بالضبط ..
سنمنحهم ملياراً ونصف المليار من الدولارات ، التي
حصلنا عليها من عملية (فونتانا) ، ونحصل على تلك
الأسطوانة المدمجة .

واستعاد صوته سخرية ، وهو يستطرد :

- في هذه الحالة تصبح الصفقة عادلة .. اليس كذلك ؟
كان الشرطي يعود في هذه اللحظة ، حاملاً متعلقات
(جبر) : ليسلمها إلى (كيلرمان) ، وكان من الطبيعي أن
يرتفع حاجباه في دهشة بالغة ، وهو يتطلع إلى هذا
الآخر ..

فقد كان (كيلرمان) يتلفه ضاحكاً ..

وبشدة ..

★ ★ ★

، تمت المرحلة الأولى من الخطة .. ،

تلقى (زورين) تلك الإشارة في مكتبه ، فانعقد حاجباه
في شدة ، وهو يتطلع إلى شاشة الكمبيوتر ، التي حملت
العبرة ، قبل أن تتحرك أصابعه فوق أزرار الكمبيوتر ،
ويظهر موزاله على الشاشة :

- كل شيء في موضعه ؟

أتاه الجواب على الشاشة :

- تم تنفيذ المرحلة الأولى بالكامل ، وفقًا للبرنامج المعدل .. فى انتظار الأوامر لبدء المرحلة الثانية .

صمت (زورين) لحظات ، متطلعًا إلى شاشة الكمبيوتر ، ثم عادت أصابعه تضرب أزرار الكمبيوتر ، قائلة :

- ابدأ المرحلة الثانية .

لم تعض ثوان معدودة ، حتى أتاه الجواب واضحًا على الشاشة :

- علم ، وسيبدأ التنفيذ فورًا .

اجتاحه انفعال جارف ، وهو يتطلع إلى العبارة على الشاشة ، ثم ضغط زر جهاز الاتصال الخاص على مكتبه ، قائلاً :

- (بوريس) .. تعال إلى مكتبى فورًا .

لم تعض دقائق معدودة ، حتى كان (بوريس) يذلف إلى مكتبه ، ويغلق الباب خلفه فى إحكام ، قائلاً :

- فى خدمتك يا سيدي .

النقط (زورين) نفسًا عميقًا ، قبل أن يقول :

- المرحلة الأولى تمت بنجاح .

هتف (بوريس) فى حماس :

- رائع يا سيدي .. هذا يعنى أن كل شيء مازال يسير

على ما يرام .

أوما (زورين) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- نعم يا (بوريس) .. كل الرجال اتخذوا مواقعهم ، واستعدوا لتنفيذ المرحلة الثانية .

برقت عينها (بوريس) ، وهو يقول :

- نشر الصواريخ ، ذات الرؤوس النووية .

أجابها (زورين) :

- نعم .. ستبدأ عملية نشر الصواريخ ، وبعد أربعة أيام

بالتحديد ، تصبح كل الصواريخ مستعدة لإصابة أهدافها ،

وفى المرحلة الثالثة ، يبدأ العد التنازلى للإطلاق .. ثم

نضرب الأهداف كلها ، وينطلق الإعصار الأحمر ليجتاح

العالم أجمع .

زفر (بوريس) ، وهو يقول :

- ويتحقق الحلم يا سيدي .

برقت عينها (زورين) فى شدة ، وهو يقول :

- نعم يا (بوريس) ، يتحقق الحلم ، ويستعيد المد

الشيوعى أمجادہ السابقة ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، ارتفع رنين هاتفه السرى الخاص ،

فانعقد حاجبا (بوريس) ، وهو يقول منفعلًا :

- إنها مكالمة من (أوروبا) .

أشار إليه (زورين) ، وهو يلتقط السماعة ، ويضعها على أذنه ، قائلاً :

- (زورين) .

ولم يكد (سيرجى كوربوف) يسمع صوته ، عند الطرف الآخر للخط ، حتى قال فى احترام واضح :

- (كوربوف) يا سيدى .

اعتدل (زورين) فى اهتمام ، وهو يسأله :

- كيف سارت الأمور يا (سيرجى) ؟

روى له (كوربوف) كل ما حدث ، منذ وصوله إلى (سويسرا) ، ثم أنهى حديثه ، وهو يقول مستكزاً :

- (ستيفان) المجنون هذا لا يدرك أننا لن نقبل عرضه قط .

صمت (زورين) لحظات ، ثم سأله فى حذر :

- هل أطلعك على محتويات الأسطوانة يا (سيرجى) ؟

أجابته فى حسم :

- كلا يا سيدى .. لم يفعل .

تراجع (زورين) فى مقعده فى ارتياح ، مغمغماً :

- عظيم .

لم يفهم (كوربوف) السر فى هذا الارتياح ، ولكنه فوحى برئيسه يستطرد فى حزم :

- أقبل عرض (ستيفان) يا (سيرجى) .

ارتفع حاجبا (كوربوف) فى دهشة بالغة ، حتى كاد يخطئان وسط شعره ، وهو بهتف :

- ماذا ؟ !

أجابته (زورين) فى صرامة :

- نفذ الأوامر يا (سيرجى) .. أقبل عرض (ستيفان) .

ألجم الذهول لسان (كوربوف) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- كما تأمر يا سيدى .

قال (زورين) :

- وبأقصى سرعة يا (سيرجى) . أريد أن يتم هذا الأمر بأقصى سرعة ممكنة .. اتصل به الآن لو أمكن .

غمغم (كوربوف) :

- سأفعل يا سيدى .. سأفعل على الفور

وأنهى الاتصال والحيرة تملأ وجهه كله ، فسأله (إيلان) فى لهجة نصف ساخرة :

- هل أمرك بتسليم القيادة لى ؟

التفت إليه (كوربوف) فى شرود ، وهو يجيب :

- بل أمرنى بقبول العرض .

هبت (أنستازيا) من رقادها ، قائلة فى دهشة :
- ماذا ؟

أما (إيفان) ، فقد انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :
- مستحيل !

أجابه (كوربوف) فى صرامة :

- لا يوجد مستحيل فى عالمنا .. من المؤكد أنها مناورة
مدروسة ، أو محاولة للخداع .. سنحصل على
الأسطوانة ، ثم نمنحهم شينازافا .. هذه خطتهم بالتأكيد .
قلنا محاولاً إقناع رجاله ، إلا أنه هو نفسه كان يشعر
بقلق حنيف ..

قلق بلا حدود ..

★ ★ ★

النقط (ستيفان) سماعة هاتفه ، ووضعها على أذنه ،
قائلاً فى هدوء ، يشف عن قدر كبير من اللامبالاة :
- مساء الخير يا مستر (كنوبى) .. كيف حالك ؟

أجابه (كيلرمان) فى سرعة وحزم :

- لقد قبلت عرضك يا مستر (ستيفان) .

ابتسم (ستيفان) ، قائلاً :

- هكذا ؟ عظيم . عظيم جداً يا مستر (كنوبى) ،
ولكن تذكر .. لقد منحتمكم يوماً واحداً .

أجابه (كيلرمان) فى توتر :

- أعلم هذا .. لقد انطلقت الشحنة بالفعل من
(نيويورك) ، وستصل إلى هنا بطائرة خاصة ، خلال تسع
ساعات فحسب .

قال (ستيفان) فى هدوء :

- رابع يا مستر (كنوبى) .. سننتظر وصول الشحنة ،
ثم نتم الصفقة .. إلى اللقاء .

انهى الاتصال ، وهو يقول فى سخرية :

- كنت أعلم أنكم ستوافقون .

سأله مساعده فى اهتمام :

- هل سيدفعون المبلغ بأكمله ؟

أجابه (ستيفان) فى ثقة :

- دون أن ينقص دولاراً واحداً .

سأله مساعده :

- وماذا عن السوفييت ؟

ابتسم (ستيفان) ، قائلاً :

- لم يعودوا كذلك يا رجل .. إنهم الآن روس وليسوا من

السوفييت .

قال مساعده فى لا مبالاة :

- لا يعينى الفارق كثيراً .. كنت أسأل فحسب : ماذا

عنهم ؟ . هل قبولنا العرض الأمريكى يعنى رفضنا
لعرضهم ١٢

هـ (ستيفان) رأسه نفيا ، وهو يقول مبتسما :
- مطلقا .

ثم مال إلى الأمام ، مستطرذا فى جدية مباحثة :
- لو أن الأمر بيدى ، لقبلت العرض الأمريكى
بلا تردد ، ورحلت من هذا المكان ، قبل أن تأتى الرياح بما
لا تشتهى السفن ، وينجح أحدهم فى الوصول إلينا ،
ولكن ..

صمت دفعة واحدة ، فسأله مساعده فى شغف :
- ولكن ماذا ١٣

تنهّد (ستيفان) ، وهو يقول :
- يبدو أننى مضطر لتفضيل العرض السوفيتى .. أقصد
الرومى .

قال المساعده فى حيرة :
- مضطر ١٤

شرد (ستيفان) لحظة ، مغفنا :
- نعم .. الأوامر تحتم ..

بتر عبارته بفتة ، عندما أدرك أنه تجاوز الحدود ،
والتفت إلى مساعده فى غضب ، قائلا فى صرامة :
- ولكن لا شأن لك بمثل هذه الأمور .

لم يكذب بتم عبارته ، حتى ارتفع رنين الهاتف ، فالتقطه
ووضعه على أذنه لحظة ، قبل أن يقول فى هدوء :
- مرحبا يا مستر (كوروبوف) .. كيف حالك ؟ .. كنت
أستظر مكالمتك . هل عرضت الصفقة على رؤسائك .
أجابه (كوروبوف) ، فى شىء من الحنق :
- إننا نقبل عرضك .

برقت عينا (ستيفان) ، ووجد نفسه بهتف فى لهفة :
- حقا ١٥

ثم استعاد رصانته فى سرعة ، مستطرذا :
- دعنا نلتقى إذن ، لنتم الصفقة .

قال (كوروبوف) فى صرامة :
- سنحتاج إلى بعض الوقت لترتيب الأمور .
قال (ستيفان) فى فرح :

- بالطبع يا مستر (كوروبوف) .. بالطبع .. إننا نقدر
هذا ، خذوا ما تشاءون من الوقت .. المهم أن نلتقى
الليلة ، لنضع النقاط على الحروف ، وبعدها نتفق على
جدول زمنى لإتمام الصفقة .

أجابه (كوروبوف) :
- فليكن .. سأأتى لزيارتك فى العاشرة والنصف .
قال (ستيفان) فى لهفة واضحة :
- سأكون فى انتظارك .

أنهى (كوربوف) المحادثة ، وهو يمتلئ بحنى وقلق
لا حدود لهما ، ولوح بكفه ، قائلاً :

- اعتقد أنها محاولة لإضاعة الوقت فحسب .

همت (أنستازيا) فى قول شيء ما ، لولا أن ارتفع
رتين جرس الباب ، فى هذه اللحظة ، فقفزت (أنستازيا)
من فراشها ، واستلّت مسدسها ، قائلة :

- سأنظر من القادم .

اتجهت فى حذر إلى الباب ، وسألت بالروسية :
- من بالباب ؟

أتاها صوت مألوف ، لأحد زملاء المهنة ، فأسرعت
تفتح الباب ، وهى تسأله :

- ماذا وراءك ؟

كان الرجل يلهث من فرط الانفعال ، وهو يقول :

- أنا أت حالاً من المستشفى .. لقد استعاد (شلينكو)

وعيه . وأبلغنى اسم الرجل الذى هاجمه .

انعقد حاجبا (كوربوف) ، وهو يقول :

- أليس (كيلرمان) ؟

هز الرجل رأسه نفياً فى قوة ، قبل أن يجيب :

- كلا . إنه الرجل الذى أبلغتم بتخلصكم منه .

ومال إلى الأمام ، مستطرداً :

- (أدهم) .. (أدهم صبرى) ..

وكان هذا أكثر مما يمكن أن يحتمله (كوربوف) ..

لذا فقد بدا أثر الصدمة عليه واضحاً ..

وعتيفاً ..

★ ★ ★

، اقتلوهما فور رؤيتهما .. ،

انطلقت صرخة الزعيم ترج ذلك المطعم المغلق ، وثلاثة

من رجاله يقفزون درجات السلم قفزاً ، فى طريقهم إلى

الطابق العلوى ، حيث يحتفى (أدهم) و (جيهان) ، فى

حين تحرك الباقون فى الطابق السفلى ، والدفع أحدهم

خارجاً ، لحراسة النوافذ الخارجية للطابق الثانى ، حتى

لا يلبأ (أدهم) و (جيهان) للفرار عبرهما ..

وشعرت (جيهان) أنها النهاية بحق هذه المرة ..

أما (أدهم) ، فقد تطلع إلى ساعته ، وهو يلتقط من

حزامه سكيناً كبيراً ، النقطة من مطبخ المطعم ..

كان هذا هو السلاح الوحيد الذى يمتلكه ، فى مواجهة

ثلاثة مدافع الية ، يحملها محترفون ، لا يشق لهم غبار ..

وهذا يعنى أن احتمال النجاة لا يتجاوز الواحد فى مائة

ألف ..

أو فى مليون ..

وخفق قلب (جيهان) فى عنف ، عندما ظهر الرجال
الثلاثة ، وصاح بها (أدهم) :
- ابتعدى .

قالها ، وهو يدفعها بعيدا ، وسط الموائد الخالية فى
الطابق العلوى ..

وانطلقت الرصاصات ..

وابل من الرصاصات انهال على المكان ، واخترق
الموائد والجدران ، و ...

وفجأة ، دوى انفجار عنيف ..

انفجر جهاز (الميكروويف) ، وتطايرت شظاياها
المحترقة فى كل مكان ، وأطاح بأحد المحترفين الأربعة
فى الطابق السفلى ، وأصاب اثنين من الباقين بجراح ..
وباغت المحترفين الثلاثة فى الطابق العلوى ..

باغتهم فتوقفوا عن إطلاق النيران لحظة واحدة ، وهم
يلتفتون فى حدة إلى حيث دوى الانفجار ..

وعندما اعتدلوا ، فى اللحظة التالية ، كانت فى
انتظارهم مفاجأة مذهمة ..

كان (أدهم) ينقض عليهم ، بوحدة من موائد
المطعم ، وهو يطلق صرخة قتالية قوية ، انتفضت لها
أجسادهم ، على الرغم من خبرتهم القتالية الطويلة ..

واستدارت مدافعهم صوبه فى سرعة ، إلا أنها لم تجد
الوقت الكافى للانطلاق ، فقد دفع (أدهم) المائدة فى
وجوههم ، ودفعهم أمامه فى سرعة وقوة ، حتى بلغ حافة
السلم ، ففقد ثلاثتهم توازنهم ، وسقطوا يتدحرجون فوقه
بدوى هائل ..

وصرخ الزعيم غاضبا :

- ماذا فعل بكم أيها الأغبياء ؟

هب ثلاثتهم واقفين ، واستعاد اثنان منهم أسلحتهما ،
فى حين هتف الثالث فى دهشة ساخطة :
- أين سلاحى ؟

أتاه صوت (أدهم) من أعلى ، صائحا فى سخرية :
- ها هو ذا .

انتبه الرجل ، فى هذه اللحظة فقط ، إلى أن (أدهم)
قد اختطف مدفعه الآلى من يده ، قبل أن يدفعه مع زميليه
خارج السلم بلحظة واحدة ..

وأنه يصوبه إلى الجميع الآن ..

ويطلق النار ..

اندفع المحترفون الستة نحو باب المطعم ، وزعيمهم
يهتف :

- إلى الخارج .. انسحاب منظم إلى الخارج .

كانت رصاصات (أدهم) تتطاير في كل مكان ، وهم
يقفزون خارجين ، وسقط أحدهم صريعاً ، وأصيب ثان ،
قبل أن يغادروا المكان تماماً ..
وهتفت (جيهان) ضاحكة :
- مرحى يا سيادة العميد .. هكذا يكون العمل .
ثم سألته في شغف :
- ولكن أخبرني .. لماذا لم تطلق النار عليهم مباشرة ؟
هز كتفيه ، قائلاً :
- لست أدري .. ربما كانت عادة تكونت مع الوقت ،
فأنا أبغض القتل المفرط دوماً .
قالت في دهشة :
- ولكن كل شخص حي منهم ، يعني فرصة جديدة
لموتنا .
ابتسم ، قائلاً :
- الله (سبحانه وتعالى) ينصر القوم الصالحين
يا عزيزتي .
وعلى الرغم من دقة الموقف وصعوبته ، خفق قلب
(جيهان) في قوة ..
لقد خاطبها بلقب (عزيزتي) ..
نطقه في سر وسهولة ، كما لو أنه ينبع من قلبه
مباشرة ..

أو من أعماق مشاعره ..
والعجيب أنه هو أيضاً انتبه إلى هذا ..
هو أيضاً لاحظ أنه خاطبها بنفس اللقب ، الذي اعتاد
مخاطبة (منى) به دائماً ..
ولم يدرك لماذا فعل هذا ؟
الآن وجودها إلى جواره يذكره بعملياته السابقة مع
(منى) ..
أم لأنها جذبت انتباهه بالفعل ؟
نقض الاحتمال الأخير عن رأسه في عنف ، وهو يقول
في حزم :
- سيعاودون الهجوم حتماً .
سألته في اهتمام :
- وما الذي يمكننا فعله عندئذ ؟
أجاب بسرعة :
- أن نواصل المقاومة ، حتى آخر رمق .
ثم أشار بيده ، مستطرذا :
- وأول ما نفعله هو أن نهبط إلى أسفل ، فالنيران
لا تزال مشتعلة في المطبخ ، وسنحصل منها على ما نشعل
به قنابلنا .

ضحكت قائلة :

- يا للمفارقة !.. تستخدم نيرانا مشتعلة لإشعال فتيل قنبلة بسيطة !

هز كتفيه ، قائلاً :

- الأمور تفرض نفسها دائماً .

هبطاً معاً إلى الطابق السفلى في حذر ، و (أدهم) يحمل مدفعه الآلى بيمنه ، ويمسك زجاجة كحول بيسراه ، في حين حملت هي زجاجتين ، وهي تتحسس موضع قدميهما في قلى بالغ ..

كانت النيران تلتهم مطبخ المطعم في شراهة ، وألسنتها المتطايرة تهدد المكان كله بحريق كبير ، فغمغمت :
- أعتقد أنهم ليسوا بحاجة لقتالنا ، فلو تركونا وحدنا ، ستلتهمنا هذه النيران بعد حين .

قال في حزم :

- هذا يعني أنه من المحتم أن نحسم الموقف ، قبل أن يأتي ذلك الحين .

سألته :

- وكيف هذا ؟

انحنى في حذر ، يراقب الرجال المحيطين بالمكان ، ومدافعهم الآلية متحفزة للغاية ، قبل أن يجيب :

- سنجد وسيلة ما .. سنجد وسيلة بإذن الله .

لم يكن يدرك لحظتها أن زعيم المحترفين كان يجري اتصالاً خاصاً ..

كان يتحدث مع الجنرال (تورنسول) مباشرة ، وهذا الأخير يسأله متوتراً :

- ماذا تعنى بأنكم لم تنفذوا المهمة بعد ؟.. إنكم عشرة

رجال ، مقابل رجل واحد !

أجابه الزعيم في توتر :

- رجل وفتاة .

هتف (تورنسول) في حدة ساخرة :

- حقاً ؟.. رجل وفتاة ؟.. هنا تكمن الصعوبة إذن ..

وجود الفتاة يربكم أيها المراهقون .. أليس كذلك ؟

زفر الزعيم في توتر ، قبل أن يقول :

- الرجل أكثر من محترف يا جنرال .. إنه خبير

محرك .. لقد حاصرناه داخل مطعم عادي ، فحول كل شيء

فيه إلى سلاح فتاك ، وخسرنا خمسة رجال في الهجوم

الأول .

كادت عينا الجنرال تجحطان ، وهو يهتف ثائراً :

- خمسة ؟.. خسرتم خمسة رجال دفعة واحدة ..

يا للبشاعة !.. أي فريق أنتم ؟.. أنا مضطر إلى الحضور

بنفسي ، لتغيير حفاظاتكم ؟

انعقد حاجبا الزعيم في عصبية ، وقال :

- فليكن يا جنرال .. لا داعي للثورة والسخرية .. سنشن هجوما مركزا ، ولن نبالي هذه المرة بما يمكن أن نحدثه من ضجة .. سد أذنك يا جنرال ، فصوت القتال سيكون مسموعا هذه المرة ، من الطرف الآخر للمدينة . وأنهى الاتصال ، مستطرذا في حزم :

- وهذا وعد .

ثم التفت إلى أحد رجاله ، قائلا :

- حسن يا رجال .. سنستخدم الصواريخ هذه المرة . بدا الجدل في عيونهم ، واندفع اثنان منهم إلى السيارة ، وأخرجوا من حقيبتها مدفعين من المدافع المحمولة على الكتف ، وصوبها كل منهما إلى المطعم ، انتظارا لأوامر الزعيم ..

ومن داخل المطعم ، انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

- يبدو أن الأمور قد بلغت حدًا بالغ الخطورة بالفعل . اتسعت عينا (جيهان) في ارتياح ، وهي تحديق في المدفعين ، وهتفت :

- رباه !.. سيستخدمون الصواريخ .

تلقت (أدهم) حوله ، بحثا عن مخرج من هذا المأزق ، ولكن المكان بدا له فجأة أشبه بمصيدة محكمة ..

النيران وألسنة اللهب تندلع عند المخرج الخلفي للمطبخ ..

وخمسة من المحترفين يسيطرون على المدخل الأمامي ، واثنان منهم يصوبان إلى المطعم مدفعين صاروخيين ، في انتظار إشارة من زعيمهما ، الذي رفع يده ، وهو يقول :

- استعدا .

عمل عقل (أدهم) بسرعة ، وعيناه تدوران في المكان في سرعة لا تنافسها (لا سرعة الأفكار المشتعلة في رأسه ، في حين أجم التوتر لسان (جيهان) تماما ، و ... وخفض الزعيم يده ، وهو يهتف في صرامة :

- أطلقا .

وانطلق الصاروخان نحو المطعم .. وكان الانفجار هائلا .

★ ★ ★

(انتهى الجزء الأول بحمد الله)

ويليه الجزء الثاني

[عقارب الساعة]